روایة

بأيِّ رجلٍ
سأرتضي بعدك

رُؤى قاسم عَطاري

جهينة
للنشر والتوزيع

بأيِّ رجلٍ سأرتضي بعدكَ

رواية

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٣/٥/١٥٢٨)

٨١٣٠٩

عطاري، رؤى قاسم

بأي رجل سأرتضي بعدك/ رؤى قاسم عطاري.- عمان: دار جهينة للنشر والتوزيع، ٢٠١٣

(١٣٠) ص

ر.أ: ٢٠١٣/٥/١٥٢٨.

الواصفات: القصص العربية/ /العصر الحديث/

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

بأيِّ رجلٍ سأرتضي بعدك

رواية

رُؤى قاسم عطاري

جهينة
للنشر والتوزيع

البَسملة؛ و بعدْ

لأستَجدِي الأمَلَ كتبتُ، بأسىً ضاقَتْ بِهِ القُلُوبُ ما رَحُبَت، بِلسانِ أنثى فَارَقَتْ نَكهَة الحياةِ شَفتاها مُذ فارَقَتْ تمَامَ رُوحها، لقطاتُ هذه الرِواية مُقتبسَةٌ مِن واقعٍ، واقعٌ تَلوكُهُ أنثى كَالحَنظَل، و ربما تلوكه إناثٌ كُثُر.

أكتُبَ هُنا عن امرأةِ ثكلى و إليها، عاشَت كُلَّ حَرفٍ بألم، رُبما لم أوفِ الوَجَعَ حقَّهُ، لكنني حاولتُ وَ بِجُهد.

لِكُلِّ أنثى أثكلها غيابُ روح، لـ 24 / 12 / 2012 م

" بأي رجلٍ سأرتضي بعدك"

رُؤى عَطاري

إهــداء

اكتُبُ هُنا لغائبِ أثق أنَّهُ يَقرأ..
لماضِي المفضل بالشتاء ...
لما شاء الهوى ... للعرزال ...
لخيط القصب ... لموج البحر ...
للقدس العتيقة ... للعصفورة البيضاء التي توقّفت عن السؤال...
لشجر اللوز .. لموسم البنفسج...
للأغاني و للقصائد ...
اكتُبَ هنا للعابرين من هنا ..
لِمنْ انتظَر بـِكر كتاباتي.. و من ينتظرني أنا ...

رُؤْى

تَرحُلُ الابتِسامات ُ و الأنفاسُ

وَ يبقى إيقَاعُها وَجَعاً...

استيَقَظَتْ على صوتِها تَصرُخ " أرجوك عُد " .. قوةٌ خارجيةٌ رفعت ظهرها عَن السرير.. راكيةً جَسدها الهزيل بيديها المُنْهَكتين .. أنفاسها تتسارع لتخرُج من جسدها ..حتى أنفاسها لم تقوَ على البقاء إلى جوارها ... عرقٌ ينسالُ من رأسها حتى رقبتها.. يشق لنفسه طريقاً أخرى بعيداً عن موطنه كما الكل يرحلون.. يُقمع من جسدها و يهجّر و يضحي لاجئاً يطالب بعودةٍ لن تُعطَى لَهُ أبداً.. لتستوطن مكانه أشياء أُخرى .. تغرس نفسها فرضاً في كل مكان .. في كل التفاصيل من جسدها

المرهق.. بردٌ اعتلى جسدها كله للحظة ... فاتحةً عينيها كمن يرى الموت .. كما لو أنه قد ذاق رشفةَ من روحها فتعطَّش لها...

غصَّةٌ تقتلعُ حلقها ..تجعل روحها تصارع داخلها لتخرج... ألأن الموت ارتشف العطر من وجنتيّ روحها أم لأن روحها تحتاج الموت أكثر من احتياجها للحياة .. هي المعادلة الصعبة نفسها .. (الحب مقابل الصداقة) .. تلك الحياة التي سايرتها بكل التفاصيل .. كانت إلى جانبها.. رأت معها كل شي و جربت معها أي شيء .. تتصادقان و تختصمان ثُم تعودان معاً .. لا مفر أحياناً من ابتسامة صديق نحتاجها لتروي لنا عطشنا للأيام الباسمة .. لكن الموت حب تشتهيه .. و من لا يشتهي حباً.. يداعب قلبه فيوقف نبضهُ .. و يجعل الأنفاس ممتلئةً به .. يغمض عينيه بين يديه .. ثم .. لا شيء يدعوه لأن يستيقظ ..

شيءٌ ينساب حتى قلبها يعتصره وجعاً .. لم تنتظم دقات قلبها منذ حين ..ذلك الصغير الذي لطالما آذته باختيارات خاطئة.. لكنه .. لم يتخلى عنها يوماً.. يبقى في انتظار أقل شيء ليسعد .. تواسيها يدها اليمنى فتمسح وجهها.. متحسسة عينيها الذابلتين... بضع قطرات من الدمع لم تجف بعد.. أو أن هناك شئ ما يعيدها بقدرة إلهية للحياة ...

ترفع شعرها البني عن جبينها.. تأخذُ نفساً لغريقٍ أخرجوه من قلب البحر للتوّ.. بردُ قارص.. تعيد رأسها إلى الوسادة .. و تردُّ اللحاف عليها .. تحوم عيناها في الغرفة المظلمة ... هي كسماء ليلةٍ في غياب القمر.. زواياها تؤلم.. تخنقها ...دمعتان تتجددان تَختصرانِ وجعاً لم ينتَهِ.. تَرتَشفهُ ساخِناً كُلَّ صَباح.. يَصرُخُ في قَلبها يُمزِّقُ أحشاءَهُ...

في كل يومٍ تستيقظ .. بدايةٌ جديدةٌ لتقبُّل واقع دونه ..من الآن ستعيشه حتى لو لم ترضاه يوماً.. تدفن أحلامها .. فليس هناك من تحدى القدر و انتصر.. تتمنى لو أنها لم تَتَم.. كانت على الأقل ستحاولُ تَقَبُّل الأمر..

صراعٌ مرير.. بين ما فُرض عليها و بين ما تحتاجه .. أو.. ما تتمناه... كلُّ الأنفاس مُثقَلةٌ بِه .. دمعتان تطهران تدنيس النظر إلى حياةٍ لا وجود له فيها... إلى صباحٍ يخلو من صوته...تحرقانها هاتان الدمعتان .. لم تغفُ منذ ثلاثة أيامٍ إلا بضع ساعات.. تلك التي تغتالها كلما أركت رأسها على الوسادة.. لسن بكثيرات .. يعلو حدهن ساعاتٍ ثلاث..أو نصف ساعة... إن لم يحالفها الحظ.. أو رُبما.. إن حالفها!

تنام على جانبها الأيمن ، و تغطي رأسها بلحافها .. لا تستطيع إغلاق عينيها لسببٍ ما ..رغم أنه لا فرق إن فتحتهما أو

أغلقتهما.. لكن لجفنٍ يشعُرُ بالوحدةِ طقوسٌ خاصَّةٌ.. حتى و إن بَدت دون معنى للآخرين..

تُلمْلِمُ ما تبقَّى من نفسها المهملةِ .. تحني ركبتيها إلى أعلى.. تلتفُّ على نفسها .. كقطَّةٍ حينَ تنام .. هي أشياء تصنعها الوحدة بنا دونَ أنْ نَشعُرَ.... تكونُ وحدها القوَّةَ المتحكِّمةَ بعقْلٍ تَخدَّر... يعيشُ في كهفٍ عتيق... باردٌ مُظلمٌ موحِشٌ..يخلو من الأصواتِ إلّا من صوتين.. صوتِ قطرات ماء منهكة .. أتعبها التعلق بشيءٍ ما عادَ لها.. تترُك أعلا الكهف .. تتسابُ منهُ كما لو أنها تُسلب.. رغماً عنها و رغماً عنه..أما الصوتُ الآخر .. فهو صوتُ ارتطامها بالأرضِ .. ذلك الصوت المدوي .. الذي يوقظ الحَنين و الألم ...!

دفءُ أنفاسِها يرتَدُّ إلى وجهها .. سكونٌ مريبٌ يحتوي بين ضُلوعهِ قلبهَا المُهترىء.. الذي تزدادُ سُرعةُ نبضاتهِ كلما تذكَّرت

اسمه.. كلما مرَّ طيفه في خيالاتها .. تستوقفه لحظةً لِتنظُرَ في عينيهِ.. تريد أن تجيباها بصدقِ ذلك الفراق.. لكنها لا تراهما .. تأمره بالانصراف ولا يبتعد ... تستجديه أن يقترب..فلا يفعل.. تحاول هي الاقتراب .. لكن المسافة التي تفصلها عنه ثابتة... تقترب منه خطوةً.. فيبتعدُ خطوة... تصرخ صرخة كان بإمكانها إيقاظ الجميع .. لكنه لم يجب .. إلّا بالصمت... طيفٌ سيرافقها كثيراً ...كطفلٍ دبق.. يخطو خطواتها دون فائدة .. دون أن ينطق بكلمة...

فُراقه كان صفعةً أيقظتها من حُلم جميل.. أخرجها من بيتٍ تكونُ فيه أماً و زوجاً... يدخل عليها بعد نهار عملٍ شاق.. مغبراً متعرقاً .. تركض إلى الباب بلهفتها.. لهفة عاشقةٍ مبتدئةٍ.. تستقبله بابتسامة عريضةٍ .. و حضنٍ مُشتاق ... ليأتي طفلهما.. اللذان لطالما نادياه معاً.. "نور" .. نعم .. كانا قد اتفقا على أن

يسمياه نور.. و لطالما كانت تناديه "أبو النور " ...يسير بخطوات مزعزعة غير ثابتة...يتمايل يميناً و يساراً... يصل نهاية الطريق إلى حضن ذلك الأب الجبّار .. تحدى الجميع ليقف على قدميه .. تحدى الجميع ليجلب لابنهِ أماً لطالما اعتقد أنها من أفضل نساء الأرض .. انتقاها بعناية ... لتكونَ أمّاً لنوره الذي ابتهل بدعاءٍ لربِّ العالمين أن يرزقه إياه ...

قاطع حلمها رنين هاتفها ، الذي قفزت إليهِ بكُلِّ ما أوتيت من لهفة.. راجيةً المولى أن يكون هو... التقطت هاتفها عن المكتب .. "صديقتها".. جبروت الخيبة التي أصابتها كانت كفيلةً بأن تلقي بها على طرف السرير .. ضاربةً بقلبها عرضَ الحائط.. تتنهد ناظرةً لأعلى .. تردُّ بعد أن طال رنين الهاتِف.. أجابت بكلِّ ما أوتيت من خيبة .. –بصوتٍ لم يخلو من الأنين.. عانقه الألم حتى صارا واحداً– .. مختنق :

– ألو

– صباحُ الخير ، كيف أنتِ؟

– الحمدلله

– متأكدَّةٌ أنكِ بخير؟

– نعم

– أأنتِ مستيقظةٌ منذ زمن

– لا

–أنمتِ من الأساس

– نعم

– حسناً يبدو أنك ما زلتِ لا تستطيعين التحدث ، أعرف ما تمرين به و أفهمك جيداً و أحس بك .....

خَرَجت من كل شيء .. في عقلها عالمٌ آخر .. "كيفَ يُصبح الجميع على درايةً تامَّةٍ بكل ما أشعُرُ به ! ..و كيفَ باتوا يحسُّونَ بما أحسُّ.. ربما كانت مجرد شفقةٍ على عيوني الحمراء اللتي لم تتوقفا عن البكاء .. و على صوتي المبحوح الذي لا يظهر إلا في بضع كلمات تخرج مني ".. باتت لا تتحدث كثيراً.. صوتها بات منكسراً .. خافتاً .. أصبحت تتحدث دونما ابتسامة.. تلك الابتسامةُ التي لطالما أحبّت أن تُزيِّنَ بها نفسها بعد أن تضع أحمر الشفاه ... لم يعتقد أحدٌ أنَّ تلك الفتاة الجبّارة .. اللامبالية.. ستُهزم كثيراً أمام حضرةِ حضوره.. و ستُكسَر محنيَّة أمام غيابه... باتت كزهرةٍ طويلةٍ ظن الجميع أنها ستكون أقوى زهور البستان الصغير و أمتنهنّ إلا أنها انحنت أمام أول عاصفةٍ هبت عليها..

باتت كورقة خريف عفى عليها الزمن .. و لا تأبه إن أخذتها الريح .. أو التقفتها يد الأرض لتضمها إلى حِضنها.. أو أخذها رجل عجوز ليضيفها إلى دفتر صغير .. يجمع فيه أوراق الشجر المهترئة منذ كان شاباً ...

بالنسبة لها لم تشهد أشدَّ من تلك العاصفة .. هواؤها غريب .. يحمل رائحة مشبعة بالأنين .. إعصاراتٌ عصفت بها.. ثلوجٌ تكتلت على جبينها أسقطته برداً فما كان منها إلا أن انحنت للزمان .. للزمان الراحل انحنت .. و للزمن الحاضر تنحني .. و ما من أحدٍ غير الأحد يعرف كم سيدوم انحناؤها ...

هزها فراقه كثيراً ولا أحدَ يحسُّ بها .. لطالما لم يفهمها أحدٌ سواه .. حفظ تفاصيل تفاصيلها .. و حفظت أكثر من رمشة عينه رواية لها ... ذلك الرجل الشرقيّ الذي لطالما ارتعش قلبها أمام عظمة اسمه.. أمام صورته التي ما زالت تتخلل الذاكرة...

أحبته كما لم تحب أحداً و كما لن تحب أحد.. .أول نظرة بينهما لطالما اعتادت إيقاد حبه داخل قلبها و شرايينها ...تلك النظرة التي لن تنساها مهما طال بها الزمن ... ابتسامته أمام خجلها من النظر في عينيه.. ذلك العاشق المستهتر... لطالما فضحته عيناه... عيناه اللتان غنت لهما كلماتها كثيراً و كثيراً ... اللتان خطت فيهما القصائد... تلك العينان الذابلتان .. بلون السماء و المدى .. عشقت هاتين العينين كثيراً... التي كانتا رغم ما يكون.. غاضباً، هادئاً، عابساً، ضاحكاً .. تمتلئ بالحنان.. رجفةُ بؤبؤه قصة أخرى .. يائسةٌ بعده على هامش الصفحات ... رفعة حاجبه تلك التي كانت تعشقها.. يرفع حاجب عينه الأيمن حين لا يعجبه شيء أو حين تقول له شيئاً بغاية السخافة... تفاصيل تخيطها هي .. على قماش أحلامها به ...

أعادها من غيبات عقلها صوت صديقتها :

– معي أنتِ؟

– نعم معكِ

–ما أريدك أن تفهميه هو أن بكاءك لن يغير شيئاً فالأمر محسومُ..

– حسناً أيمكننا التحدث لاحقاً؟

– لكن

"تقاطعها" : إلى اللقاء ، و تغلق الهاتف.

*****

يا سيدتي ... (نتشعلق) بغصن أملٍ...

نتسلق سلالم الشمس لنقطف الدّفءَ

بسلال الضُّحى لقلوبٍ تعفنت من الحزن.

عبد السلام العطاري

شقوق الشمس تتخلل النافذة ..تسير بخطواتها المتثاقلة إلى الشباك و تفتح الستائر.. فاجأتها شمس ديسمبر.. ذات المشاعر الباردة.. و النور القوي.. تغلق عينيها نصف إغلاق... متفادية أشعة الشمس التي باغتتها ...تفتح الشباك .. نسيم باردٌ كقلب ديسمبر .. الذي وهبها وجعاً لا ينتهي .. تحاول استنشاق بعض الهواء النقي .. و كأنما ذلك الهواء النقي يرفض جسدها .. كأن كل شيء يساعدها أن تفنى لكن دون جدوى.. تسرح بما وراء

نافذتها .. ذلك الشارع .. و كأن الطريق تؤدّي إليه... تذكرت يوماً أطلَّ عليها بعد شجارٍ عنيف دار بينهما ... استيقظت على رسالةٍ منهُ على هاتفها تختصر الكثير من كلامه كعادة رسائله.. "الرمل ما بنعجن" ..

لقد سئم مشاجراتهما التي لا تنتهي .. لكنها لم تسأم .. لا تدرِ لِمَ لِمْ تكن تأبه لمدى مشاجراتهما... ربما لأنها كانت تعلم أنهما سيعودان كما كانا و كأن شيئاً لم يكن .. رغم ذلك عزمت ألا تهاتفه إلّا إن هاتَفَها ... ساعةٌ مضت بعد تلك الرسالة ... فكان هاتفها يرن...

لم تُخفِ على نفسها تلك السعادة التي لم يتسع الكون كله لها .. ابتسامتها العريضة .. صوتها و كأنهُ صوتُ ميت قد عادت له الحياة .. فاختار أن يجرب كل شيء فاته .. لم تستطع

يوماً أن تخفي لهفتها عليه عنه.. ردت محاولةً بطريقةٍ فاشلة استصناع اللامبالاة :

- صباح الخير

- صباح الخير ، ماذا تفعلين ؟

- لا شيء أحاول مساعدة أمي في توضيب المنزل

- اها حسناً.. كنتُ قريباً فتذكرتك أحببتُ أن "أصَبِّح"

- تذكرتني ؟ اها حسناً ..هذا فقط ؟

- نعم هذا فقط ، أتريدين شيئاً ؟

- نعم أريد

- ماذا ؟

–شوكولا؟

–البقالة أمام منزلكم ، انزلي و اشتري !

– لا.. أريدك أنت أن تشتري لي واحدة

"مستغرباً" – حسناً

– و أريدها من البقالة أمام منزلنا

– لماذا هذه أيضاً؟

– "هيك حرّة" أريدها من البقالة المقابلة لمنزلنا ! أحبها من هناك!

"متنهداً" –حسناً "محاولاً تفادي النقاش"

– الساعة الآن الثانية عشرة إلا ربعاً .. أريدها في الثانية عشرة تماماً

"بصوت احتد " – أُقسم إن رأيتكِ في البقالة ...

– ماذا ستفعل ؟

"خف احتداد صوته قليلاً" – سأدير ظهري و أرحل

– لا، لا تخف لن أنزل

– كيف سأعطيكِ إياها

– ضعها في المصعد ، الطابق الثالث

– حسناً ، لنرى نهاية هذه القصة !

لطالما عرف في داخله أن كل ما تقوم به له نهاية ..
تريد منه شيئاً.. لن تفلت بهذا الموقف دون شيء غريب يتخلله...

هي لا تفعل شيئاً هكذا لمجرد أنها تريد أن تفعله.. فيسايرها دائماً.. عادته يحب الأشياء غير الاعتيادية.. حفته بالمفاجآت ..

أسرعَت إلى النافِذَةِ.. لمحته ينزِلُ من سيّارته متجهاً إلى البقَّالة .. تأملت خطواته الواسعة التي اعتاد أن يسير بها .. تحب شكله بقبعته الشتوية السوداء.. تأملته حتى أشبعت به عينيها .. لحظات حتى اختفى داخل البقالة.. أسرعت متجهة إلى باب المنزل ... طلبت المصعد .. وقفت به .. و انتَظَرت.. طلبه هو من الأسفل .. وصل المصعد الطابق الأرضي و بينما يُفتح الباب.. –وهي بداخل المصعد – .. ترتفع عيناه مشدوهاً .. من الأرض حتى تصل وجهها .. "تبتسم" .. لن تنسى نظرته تلك.. التي تداخلت فيها مشاعره .. دهشةً، حباً، فرحاً.. لم يعرفا ما يقولان .. هو من الصدمة و هي من الفرح .. ظلت عيناهما تحكيان.. مد لها الكيس المليء بالشوكولا ... همس لها.. مشيراً

إلى البابين للشقتين في الطابق الأرضي .. "هناك جيران" .. أشار لها بأن تبقى صامتةً .. بأصبعه على فمه .. إشارة أُخرى عليها أن تفهمها وحدها .. (أن تصعد إلى المنزل).. بابتسامته الساحرة تلك ... و أدار ظهره ... تتبعه عيناها حتى باب العمارة.. أدار وجهه إليها و ابتسم آخر مرة .. قبل أن يخرج...

تلك الابتسامة كانت سهماً وكز قلبها و هي تذكر ..تبتسم ابتسامةً خفيفةً و تغدر بها دمعتان تتسالان على خديها.. كان فراقهما وشيكاً حينها... لكن هذا اللقاء جعل الزمن يتوقف .. نظراتها له حينها .. كأنها تقول له "تجرأ و ارحل!"..و نظراته تقول.. "هذا ما انتظرته" ..

خرج من الباب .. و صعدت هي إلى المنزل ... راكضةً باتجاه النافذة ذاتها ... ترقبته وهو يصعد سيارته... و يرحل.. هاتَفَتهُ .. أجاب سريعاً على غير عادته :

- ألو

- أحبك.. و ستظل لي دوماً رغماً عن الجميع أتفهم !

و أغلقت الهاتف ... بكت كثيراً يومها ..لطالما خشيت لحظة فراقه .. كانت تعلم أنها ستكسرها و توجعها كثيراً ... دعت الله في سرها .. مع دموعها .. ألا يفرقها عنه شيءٌ أبداً...

****

وَهلْ لَنا يَا صديقي أنْ نُعيد الأملَ معاً ..

أن نَعيشَ الأملَ معاً .. أنْ نَبتَسِمَ معاً

هواءُ ديسمبر البارد .. فتك بها ... أعادها .. أيقظ دموعاً شتتها الذكريات لو لبضع لحظات ... أغلقت النافذة و تنفست الصعداء .. كل الأشياء في كل مكان ... تربطها صلة وثيقة به.. من قريب أو بعيد .. عطرها الذي لطالما أحبه .. حتى أنه أخذ شالاً لها كي يبقي عطرها معه ... دبٌّ محشوٌّ هناك كانت ستهديه إياه لولا المشاجرة التي حدثت بينهما ذلك اليوم .. فلم يلتقيا .. ذلك الركن الذي كانت دوماً تجلس فيه عندما تحادثه .. ورقةٌ تحتوي على جدولها الجامعي للفصل القادم .. كانت قد

احتفظت بتلك النسخة له .. رسمت عليها بضع قلوب وردية... لم يعطها الوقت فُرصةً أن تعطيه إياه ا ... عطر الأطفال الموجود على المكتب .. الذي اشترته لـ"نور" ... مرطب اليدين.. الذي كانت تضع منه الكثير على يديها كي تتعمد وضع ما تبقى منه على يديه ... عقدها الذي أعاده إليها مؤخراً .. كان في عنقه مدة طويلة حتى التصقت رائحته به ... انقضت عليه تشمه ... بهتت رائحته ... لم يتبقَ منها سوى القليل...

ذهبت لتتوضأ .. ارتدت ثياب الصلاة متجهةً للقِبْلة ... لأول مرة تحس أن للصلاة هيبةً أكثر مما كانت تتوقع ... رفعت يديها مكبرة ... تلت الفاتحة بتمعن ... سبع آيات .. تلتهن حرفاً بحرف ... قرأت لإيلاف قريش... كانت والدتها تقرأها لها حين تخاف ... خائفة هي من دنياها بعده ... من كل شيء دونه ... ركعةٌ تبعتها سجدة... هي سرٌّ بينها و بين الله ... رددت فيها

أدعيةً كثيرةً .. أولها ... ربي اجمعني به و لا تحرمني منه ... بكت كثيراً حتى أنهت صلاتها ... ألقت سلاماً عن اليمين و عن الشمال ... رافعةً يديها للمولى .. مسهبةً بذات الدموع.. و ذات الأدعية ..

دقاتٌ ناعمةٌ تلامس الباب ... و كأنما أصبح لباب غرفتها قلب... ينبضُ حين اختفى قلبهُ من حولها ... تدخلُ والدتها .. تراها في ذلك الحال منذ ثلاثة أيام ... متألمة لتألمها لكن ما بيدها شيءٌ تفعله ... تضع لها صحن الحساء على المكتب ...

– تقبلَّ الله

–منا و منكم

– أحضرت لك هذا الحساء .. سأغيب دقيقتين لأعود و اجد الصحن فارغاً

- ما الي نفس آكل

- بلى ستأكلينه

و تخرج من الغرفة ... نعم هذا فقط ... تاركةً خلفها فتاةً بقلبٍ محطم ... تستجدي أي شيءٍ يخرجها من الضياع الذي تعيشه ... من الفراغ الذي خلفه غيابه ..

أمسكت دفترها الملقى على السرير... الذي اعتادت أن تؤمِّنهُ على كلِّ أسرارها... قلّبت في صفحاته ... حتى وجدت تلك الخاطرة .. للقطة مرت من حياتها:

" أَنَا وَ حَبِيبِي وَحَبَّاتُ المَطَرْ...

وَ بَرْدُ الشِّتَاءِ..

وَ عُيُونُهُ الخُضُرْ...

وَ يَدَاهُ الدَّافِئَتَانْ...

وُ خَطوَاته الوَاسِعاتْ..

وَ ابْتِسامَتِيَ البَلْهاءْ...

وَ أَنا الطَّائِرُ تمْنعُنِي عَنْ السَّمَاءِ ذِراعَيْهِ ..

لأَوَلِ مَرَّةٍ .. أَنا وَحَبِيبِي وَ حَبَّاتُ المَطَرْ..

وَعُيُونُهُ الخُضُرْ...

وَ بُخَارُ كلِماتِهِ...

وَ الشَّبَرَةُ المُخْمَلِيَّة..

و أَبْرُدُ أَنَا "مُتَظَاهِرَةً " .. كَيْ أَقتَرِبَ مِنْهُ أَكثَرْ...

لَمْ نكُنْ وَحدَنا..

فقَدْ كنَّا ..

أَنا وَحَبِيبِي وَ المَطَرْ..

وَ عيُونُهُ الخُضُرْ..

وَنسَمَاتُ تِشْرِينْ..

وَ الذِّكرَيَاتُ المَاضِيَاتْ..

لِشِتَاءٍ آخَرْ..

وَ حِضنْتُهُ قِصَّةٌ أُخْرَى..

هُوُ حَبِيبِي ،، وَ هِيَ ذِكْرَى لِحَبَّاتِ المَطَرْ..

عيُوُنـُهُ الخُضُرْ... "

الثاني و العشرون من نوفمبر العام الماضي ... كان يوصلها إلى المنزل ... حين توقف فجأة و طلب منها النزول ... المطر ينهمر بغزارة ...

– أأنزل المظلة ؟؟

– لا اتركيها

فتح لها بابا السيارة فارداً لها ذراعيه.. الابتسامةُ ذاتها التي كانت تذيب قلبها... تعشقهُ وتعشقها... نزلت من السيارة ... وضعت يدها في يده بعدما وضع يده في جيبه تاركاً لها المجال لتقترب منه... لم تشعر بالبرد حينها ..

ربما صدقاً كانت لحظة سعادةٍ توقف الزمن و الأشياء ... حتى الإحساس إلا الحب ... أول مرة ... هي لحظة لطالما تخيلتها ... ليأتي فارس أحلامها و يجعلها واقعاْ .. تتشبك بذراعه و كأنها ستضيع عنه إن ابتعدت .. سارا معاً .. ركضا معاً ... كانت ضحكاتهما تملؤ الشتاء ... و تحكي قصةَ هواهما لكل قطرة مطر ...

حسناً..في الواقع .. عيناه لم تكونا خضراوين .. كانتا أقرب إلى الرمادي.. كانتا تتلونان كثيراً... سترته الخضراء جعلتهما مائلتين إلى الخضرة ... لمعَتُهما تلك ...و كأنهما امتلأتا بالدموع... منذ أن وضعت عيناها بعينيه أول مرة... حكت لها عن النهاية ... كان عليها أن تضع في بالها هذه النهاية.. أو نهايةً مماثلة ...!

أحلامها جاهلة ... لم تتعلم أن تقف عند حد ما.. حتى قادها الجنون إلى السماء ..فأصبحت بحجم الـ.... لا بل أكبر من السماء .. بل أكبر من المجرة ... ألم تُعلّمي أحلامك أن تعيش على "قدها" ...ألم تعلمي أحلامك أن تسير على الحائط كي لا تتأذى ..أن تبقى على الأرض.. ألم تعلميها أن تبتعد عن الآمال الكاذبة .. و القلوب المتفائلة جداً!! ... أن تكتفي بالكلام عن نفسها لنفسها.. أن تصمت.. أن تعيش على الهامش !!

باتت أكبر منك .. و مني و من السماء.. باتت تعلو باسم القدر إلى ظلِ عانقها...حتى ذابت على خط الشمس خُطاها.. فحملها صاحب الفرس الأبيض و رفعها ورفعها ثم ألقى بها إلى أخفض بقاع جهنم ..حتى ارتطم رأسها بالأرض.. برصيف الانتظار.. يائساً على أعتاب أبواب

الفراق ..

أمجنونة أنتِ!!

ألم تعلميها .. الم تكلميها !!

ألم تعدي خطاياها !!

أما كفاها أنها.. عاشت أحلاماً أكبر منها ..و ستموت أحلاماً..و ستخلّد دوما أنها كانت أوهام !!

ألم تعلم !!

أنها .. ستكون ذكرى حلم ..مر الواقع ...تلك القشة التي تعلق فيها الغريق...و أنها ...كانت سبب موته..

رُبما .. وجب على بعض الأحلامِ .. أن تظَلَّ أحلاماً على أن تكونَ كابوساً في الواقع...!!

يغلبها إنكارها لرحيله ... صفعةٌ من القدر ما أيقظتها... بل أثكَلتْ روحها ... صَارتْ أنفاسُها عاريةً من

النِفاق... لكنّ قلبها لم ينوُ عَلى ميناء الرضا ... و باتَ يترنَّحُ في إحْدى كفتيّ القدر... و كأنما جسدها قد فني .. باتت في دوامة اللاشعور... تغيب على أصوات كترانيم قديمة ... و يدخل عقلها في غيبوبة على الزَمنِ أن يوقظها منها ... و أخيلةٌ تلتف كَدالية بَينَ العَطْفِ و العَاطِفَة ...و يقينٌ يُقَطِّعُ الشّك حتى غَدا ناعماَ..يَتخللُ أصابعَ الذاكرة.. كرِمال البَحر ... أسئلة حيارى .. تَتَخبّط في زجاجةٍ عند شاطئْ عقلها قبل المغيبْ...غصة تمسك حنجرتها .. حتى غدا ابتلاع ريقها مؤلماً ... خانقاً .

عندما ... تتشابهُ كلُّ الوجوهْ ...و ترسم الفرشاة نفس الصورْ..عندما ترى نفسك في غرفة تضيقُ مع زيادةِ الكلماتْ ..عندما .. تتصاغر قَبَّةُ القميصْ.. دونَ أنْ تشدَّ ربطةَ العنقْ.. تتعلق الدمعةُ على رمشينْ... يشُدَّانها و

تشدُهُما .. و يُقْنعانِها فتعودْ ...و تنسدُّ كل الطرقِ المؤديةِ بالنفسِ إلى خارجِ الجسدْ ...تتشابَهُ الوقائِعْ .. و تختَلِفُ دوماً الأسماءْ...

* * * *

هو ليس بخارِقٍ .. لكنَّهُ احتل قلبها بكل نبضاتِه.. كل من عرفها عرفه .. حتى باتت صديقاتها لا يتخيلنها مع إنسان آخر غيره.. لطالما تشاجرا حتى وصلت بينهما إلى أن يدير كل منهما ظهره للآخر.. لكن ما يلبثا عشرة أيام إلا ويعودان .. بلهفة جديدة و حب جديد ...

بينما تقلب دفترها ... وجدت خاطرة كانت قد كتبتها له :

"بين همسة وأخرى أراك...

وفي دمعات الليل تسكن...

وتنام على أوجاع قلبي المكسور...

ذي الجدران المهمشة...

أئِنُّ ولا ترى أنيني...

أناجيك فلا تلامس المناجاة إلا الهزيمة...

وما أزالُ أصغي للأفق...

يحبني ولا يحبني.....

فبين قلبي والحنين..

وبين الواقع والأنين...

فيا ابن بلادي...

ناظرني واسمع...

هل تراك تذوق ما تقنع..!

يا ذا الذي في ليلي الظالم تقبع....

والحزن يصنع لك أحلى وسادة....

أتراني أراك قبل الرحيل...؟؟

أتراني أتنشق عبيرك قبل الفراق..

أتراني أموت جارحاً طار في سماك...

فانظر إلى صغيرنا..

بين يدي القهر ينام....

صغيرنا الذي أسميته الحب....

أترضى أن يعيش بلا أب....!

بلا درب..!

وحيداً يمضي بلا قلب...

فلتذهب...لكن انظر في عيني قبل الرحيل وقل لي:

كيف هنت وصغيري عليك ؟؟"

مرت أمام عينيه تلك السطور موجعة .. فهي لم تهن يوماً عليه .. كما لم يهن يوماً عليها ... لكن كبريائه كان يعتقل حبه في جوف جوفه ... حبها له الذي كان أقوى من كل شيء كان يبدد كبريائه ... عشقها حد الوله و عشقته حد الجنون و الألم و الوجع... تحملا كثيراً ... تنازلت جداً و تنازل جداً و جداً و جداً... فالحب لا يقاس بما تهب ... إنما يقاس بمقدار الأشياء التي تتخلى عنها لأجل من تحب...

هي لم تمتلك شيئاً لتتخلى عنه سوى ذلك القلب ... كان أغلى ما تملك ... تخلت عن أشياء بدت لها تافهة لأجل أن تحافظ عليه .. لكنها بدت له كبيرةً جداً ليتخلى عن بعض كبريائه الذي لم يتخلى عنه لامرئ يوماً.... كانت تضعفه نظرة عينيها البنيتين ... تلك النظرة التي كانت تبتسم

له دوماً... كانت تشده إليها ... النمشات على وجهها التي لم يلاحظها أحدٌ غيره ... أعادته لها كثيراً ... الشامةُ على خدها الأيمن ... تفاصيل لم يكن ليحبها أحدٌ سواه ... لم يكن ليعلمها أحدٌ سواه ... يداها اللتان كان يتجنب ملامستهما لخشونة يديه ...

كانت تعشق يديه ... كانت تحس فيهما معالم رجولته.. تعلم هي كم كان عمله مرهقاً ... كم عانى من الدنيا .. فقد كانت تتألم كثيراً لأنفاسه الثكلى التي اعتادت أن تسمعها موسيقى قبل أن تنام ... كانت تهاتفه لتقول له "تصبح على خير" ... و تبقى على الهاتف ريثما يغفو كي تحس بأنفاسه ...

تعشقه جداً ... كانت تظل طويلاً .. جهل أن أنفاسه الثكلى التي كانت تراق آخر الليل تخترق أضلاعها ..

تضعفها تميت النوم من عيونها ... جهل سر أنفاسه الثكلى... لطالما أتقَنتها .. عَرَفتْ خَطَّ سيرها .. لطالما أرَّقتها .. أماتتها.. و بلحظة ما بقدرة الله هي ذاتها تحييها...

*****

وَ بأيٍّ رَجُلٍ سأرتضي بَعدَكْ

هي أيام أُخرى.. هذه الأيام... و كأن الكون كله يتآمر عليها.. و كأنما كان اختبارها في الدنيا كم يوماً ستتحمل دون صوته .. ربما استطاعت أن تتحدى الدنيا في ظروف غير هذه... في أيام غير هذه ...

تعجَّبت مِن طُقُوسِ الغِياب ..كيف يضْرمُ نار الحنينْ فِي قلوبٍ عاشِقة...وَ يتربَّعُ في وسط الدائرة يسْتَحضِر الشَّوق و الذكريات.. ينتقي الذكريات بشكلٍ غَريبٍ هذا الغياب..و يستنطِقُ العينَينِ فتَرى ما لا يُسمَع و تَسمَعُ ما لا يُرى..و تَمنَع ما كانَ مَسْموحاً و تَسمَحُ ما مُنِعَ..

مُوجِعٌ ،، مُخيفْ...مربِكٌ مؤلِم أن تجلِسَ تعدَّ خطوات الغياب...تراهُ يقترِبْ..."تَعْلَمُ يقيناً أنَّه قادِم"... ومهما حاوَلَت عباراتُ المواساةِ انتِشالك إلا أنَّ جاذبيَّة الغِيابْ .. أينما كانت ..فِي الأرضِ أوْ فِي السَّماء ..تفوق كل شيء...

لم يكن شخصاً ينسيها إياه الزمان .. لكن الآن .. بات التفكيرُ به كالتفكير في الغيب.. لا يَسعه عقلها الصغير.. إحساس مرير يختلج جسدها كله... وحدها دونه.. هي معادلةٌ صعبةٌ .. تَعجَزُ عن حلِّها ... كُلُّ ما فيها يذكره ... كُلُّ مكانٍ يَذكُرُه ... يَنطِقهُ ... كُلُّ ثيابها و كل غُرَفِ المنزِلِ... كُل وجوه الأطفال .. له فيهم ذكرى ...

كانت تهاتفه و هي تُمسِكُ ابنَ عمَّتها الصغير ذو العامين .. تقولُ له في بدايةِ المكالمة .. "نور يودُّ التَّحدُّثَ إليك " و تضع سماعةَ الهاتف على أذُنِ الصَّغير .. و

يتحدثان كأنهما فعلاً أبٌ و ابنهُ .. ثم تلتقطُ السَّماعةَ من الصغير :

- حسناً عزيزي متى ستعودُ إلى المنزِل

- لستُ أدري بعد.. ربما سأتأخر اليوم .. يمكنك أن تصعدي عند والدتي إن أردتِ

كان منزلهُ أسفلَ منزِلِ أهله .. فالمكانُ الذي كان يتَخيل فيه أنها زوجته و في انتظاره كان معروفاً بالفعل

- كنت عندها منذ قليل ... هاتفتني والدتي ربما ستأتي لزيارتي .. لم تردَّ لي خبراً بعد

كانا يعيشان هذه اللحظات المستقبليَّة كثيراً ..كانت تهاتفه معظم الوقت ليدور بينهما حوارٌ مماثل ..

ماذا طبختي لي اليوم ... أحضر لنا بعض الخضار إلى المنزل ...

لحظات عاشاها في حاضرهما .. لأنها يوماً ستختفي في المستقبل ...

تتنهد ... رعشةٌ تضاربت داخلها ... ترتجف برداً و ضعفاً ... لم تضع شيئاً في فمها منذ ثلاثة أيام ... الأمرُ الذي جعل والدتها تصرخ حين دخلت الغرفة واجدةً صحن الحساء لا يزال كما هو:

– أتريدينني أن أصاب بالجلطة بسببك ! ها قد رحل .. احسبي أنه قد تقدم لخطبتك و لم نوافق ... ماذا كنتِ ستفعلين !!

كلماتٌ قاسيةٌ .. من قلب أمها الذي أنهكه شكلُ ابنَتها... حزيناً يعتصرُ ألماً عليها ...

أما هي .. فقد كانت في عالمٍ آخرٍ يخلو من الجميع إلا منه... من عيونه التي عشقت ... من نظراته التي أدمنت.. من كل شيءٍ فيه ... رحيل عامين من عمرها في

يوم.. كان أقسى ما عاشته ... كان كابوساً مروعاً لم تتوقع أن تعيشه يوماً ... تذكره.. تذكر أيامهما معاً .. كأنها تحدثُ أولَّ مرة ... عاشت هذيِن العاميِن بقلبها ... لم تتمنَ زوالهما أبداً...

كان غريباً... لا بل مختلفاً بامتيازٍ عن الجميع ... كان يكره كُلّ وسائل الاتصال الحديثة التي سهَّلت لهما الحديثَ معاً ... كانت بنظره تغتال قُدسية الحبِّ و الاشتياق ... تُدنِّسُ تقاليدها ... كان يسرح في خياله إلى حياتهما دون هذا الزخم ... ماذا لو لم يوجد الهاتف النقّال.. ولا شبكة الانترنت ... ولا السيارات ... كانا ليموتا شوقاً ليحادِثَ كُلٌّ منهما الآخر ...

يوماً بَدأ يسرُدُ لها حكايتَهُما في عَصر آخر... يخلو من كل مظاهر التكنولوجيا... لطالما أحبت أحاديثه ... كان لديها استعداد أن تصغي لساعاتٍ و ساعات دون أن تمل...

تتأمل نوتات صوته ... و تدرس أنفاسه بعناية ... مخارج كلماته... كانت تعشق حرف الراء الناعم منه.. رغم أن كلماته كلها كانت تكتظ بقوة الرجال ..

– تخيلي لو لم نملك الهواتف النقالة و لم نصل للانترنت... و كنتُ بالبساطة التي لا تسمحُ لي باقتناء سيَّارةٍ...

"ضاحكةً" – ماذا كان ليحدُث؟

بدأ يسردُ لها ... شيئاً من زمانٍ آخر .. كأنه هو لم يُخلق لهذا الزمان...

– سأكون جالساً إلى جوار هاتف المنزل منتظراً مكالمتك في الساعةِ التي اتفقنا أن تهاتفيني فيها ... تتأخرين خمس دقائق و أنا ما أزال أنتظر.. عشرُ دقائق و ما زلتُ أنتظر... تناديني أمي لأرفع لها الصحون أعلى الخزانة... ثم سيرنُّ الهاتف ... و تكونين أنتِ ... يجيب أحد إخوتي..

و حين تسمعين صوتاً آخر ستقفلين الخط ... سأخرج من المطبخ مسرعاً حالما أسمع أخي ينطق "ألو".. لأقول له ناهراً من على الخط؟!... يجيبني لا أحد ... سأرتدي ثيابي مسرعاً... و أخرج سيراً على الأقدام من منزلنا إلى منزلك...

" منزلاهما يبعدان حوالي الثلاثين كيلومتراً عن بعضهما..."

يتابع ... سأصل آخر النهار قبيل المغرب بقليل... تكونين حزينةً يائسةً تجلسين عند شباك غرفتك ... "نعم هو ذات الشباك الذي حَمَل لهما ذكرَياتٍ كثيرةً"...

ترينني و تقفزين من مكانك ... و الابتسامة ملؤُ وجهك... ألوّح لك بيدي من بعيد... فتركضين إلى غرفتك حيث تخبئين رزمة رسائل ... تكتبينها لي كلَّ يوم ... و تنزلين على استحياء "على أساس" أنك تودين إلقاء القمامة... و تلقين لي رزمة الرسائل تلك .. و أركض أنا

لآخذ الرزمة عن الأرض.. "ويشوفنا أبوكي" و أترك أنا الرسائل و أهرب...

ضحكةٌ عاليةٌ خرجت من قلبها ردَّ صداها ضحكةٌ منه .. هو هكذا دائماً يعرف أحاديث الرومانسية من ذيلها فقط ... لم تكتمل لهما لحظة رومانسيةٌ في حياتهما معاً... لكنَّ كلَّ لحظاتهما كانت الأروع ... همست له يومها

– و بأيِّ رَجُلٍ سأرتضي بعدَك .. أحبك جداً ..

ضحكة هادئةٌ تخرج منه حين يخجل .. لطالما أحبت خجلهُ منها...رغم أنه في حياته تعامل مع فتيات أكثر مما تعاملت هي... إلا أنّ خجلهُ منها كان فريداً ..عَشقت منه كلَّ شيء...

رُغمَ أنّها ابتسمت للذكريات تلك .. إلّا أنَّ غصة قلبها أيقظتها ... لم يتبقَ لها منهُ شيء ... لقد رحل ... أحبَّتهُ

جداً لكنهُ رحل... إنها الدنيا التي لطالما كرِهها ... هُو حرمانٌ آخر ... ماذا فَعَلت كي تًعاقَبَ بالحرمان منهُ... أهي السبب .. أم هو السبب.. ستَفعلُ المُستَحيل لتعيده لكنه لن يعود .. لَن يـعود!!!

كَصفعةٍ نَزَلت على وجهها كَلمات رحيله ... كَيفَ علَّقها به إلى هذه الدرجة التي ما زالت لا تستطيع تخيُّل بشاعةِ أنَّهُ رَحل... كيف ستعرِفُ أخباره.. و لم يتبقَ لها منه سوى بضع رسائل كان قد بعثها لها... و صوتهُ المسجَّلُ على هاتفها ... الذي كانَ لا يزالُ لليومِ الثالثِ على الرحيل يعادُ مراراً و تكراراً ...سعيدين جداً كانا فماذا جرى ... جُنَّت به و رَحل ... بكلِّ ما تحمله الكلمةُ من سهولة ... رَحل ...

****

وكلٌّ إثمٍ..

في غير عينيها حرامْ!

كَان الحَنينُ دوماً يَغتالهُا.. يَتسلل إليها فَيزرِعُ في قلبها تنهيداته التي تُحب.. تترُكْ في عقلها صُوره.. و تبقى كالبلهاء وَحدها في زوايا العالم الحقيقي تعيش عالمها الخاص و تبتسم.. يأخذها إليه سيراً.. فتراهُ مُسرعاً لها يَمدُّ لها يديهِ..

ما لَبِثتْ أن انتَهت المُحاضرة.. صفقت الكِتاب بِسرعة.. لملمت أشياءها.. الحقيبة و بعض الأوراق.. أمسكت سريعاً بالهاتف و طلبت رَقمه.. حالما أجاب ردت عليه "وينك؟!"

-بسم الله مالك .. بالشغل شو في ؟

-يعني بصراحة كأنك زودتها إلي شهر مش شايفتك.. بدي اشوفك ما دخلني

"يضحك بخجل" – متى بخلص دوامك اليوم

-على التلاتة

-طيب استنيني نص ساعة أو ساعة بالكتير خليني أروحك عالبيت

"مُتلهفة جداً و ابتسامةٌ عريضة" – ماشي !!

لم تدرِ كَيفَ مرَّت تلك الساعةُ بانتظاره.. و ما إن هاتفها أنهُ وَصل حتى صارتْ تَركُض إليهِ يسبقها قلبها.. تتخيل عينيهْ.. يديهْ .. تَشُم رائحته و تَسمعُ صوته.. صعدت السيارة.. أحسَّ يديها الباردتين باسم المُصافحة.. نَظر في عينيها و ابتسم !

يتحدثان طوال الطريق كأنهما لَم يتحدثا منذ قرن.. بِنهمٍ ينتشلان الحروف.. رُبما تَغرس النظرات في القلب كلاماً يطول..هَو لقاءُ العينين يَختَلفْ.. يُتحدِّث بما يَعجز اللسان عَن قَوله.. و ما تعجزُ الأذن عن سماعِهْ..

تَوقَّفَ إلى جانِبْ مَقهى لِيجلب كوبيّ قهوة.. يُشارِكاهما الطريق.. قدره اليوم أن ينسى هاتفه في السيارة.. هاتفَهُ المُحرم دوماً على يديها ! .. وحين تأكدت أنه ما عادَ ينظرْ أمسَكت الهاتِف و أولُ ما فَتحت كان صُندوقَ الرسائِل.. سرداب المُحرمات عليهِ غيرها!! ..وجدت رسالة " بدي أشوفك بكرة ضروري" و أخرى "بس أشوفك بتعرف" .. فَتحت الرسائل المُرسلة كان آخرها "ما بنفع عالتيليفون؟" "طب ماشي برنلك بكرة" ..حسناً .. اسمها تلك كان مُحرماً عليه بالتحديد لا للغيرة فحسب بل باسم الحقد الأنثوي على

فتاة همست بكلمات الحب لفحلها الذي لَم يحب غيرها لكنه لم يَكن يعلم أن الخطيئة التي ارتكبها .. جعلت عقلها يقلب هتلرياً و يراهُنَّ شعباً عليها إبادته!

صَعد إلى السيارة مبتسماً.. بيديه كوبا قهوة ..و هي وجهها ساخنٌ لاحمراره! و تنظر إلى الناحية الأخرى..

-مالك قالبة بوزك ؟

-شو هاد؟ "فاتحة له إحدى الرسائل "

"صارخاً" – انتي كيف بتسمحي لحالك تستغفليني و تفتحي رسائلي؟

-انت اللي كيف بتسمح لحالك تستغفلني و تطلع معها!

-بس أنا ما طلعت معها و هيني مزروع معك !

-لو إنك مش مزروع معي كنت رح تروح تشوفها!

-لو أنك سألتيني كنت حكيتلك!

-وكيف كنت رح أعرف إزا ما فتحت الرسائل لحالي و عرفت!!

أدار مفتاح السيارة .. و سار .. يدير كل منهما وجهه عن الآخر .. بينما يُراقِبُ وجهها بطرف عينه على المرآة الجانبية للسيارة.. تغتالها دمعتان رغم أنها جاهدت ألّا تبكِ.. تَمسحهما بسرعة عله لا ينتَبهْ.. لَكنها أدركت انتباهه حين اشتدت قدمه على البنزين.. بدا عليه الغضب.. أدارت وجهها إليه

-طب شو شفت مني لتعمل فيي هيك

ازرقَّ وجهه أكثر.. تشنجت يده اليمنى.. بدا ذلك واضحاً إذ لم يستطع إبقاءها على المِقود.. يحرك أصابِعهُ بِصعوبة.. هُو لَم يُخفِ الموضوع لخطيئة اقترفها .. لكنهُ كانَ بإخباره لها سيفجر فيها بُركاناً.. كانَ يحاول أن يتجنب ما يقع معه الآن.. لكنَّ ما كُتبَ عليهِ قد كُتب!

وصلا إلى مكان قريب من المنزل حيث اعتاد أن ينزلها وأوقف السيارة.. عادت تسأله:

-أنا رايحة بس فهمني ليش عملت هيك

-أنا ما عملت اشي كانت جايبتلي شغلة و بدها تعطيني ياها وبس أنا ما غلطت !

-لو فعلاً ما غلطت كان أنا عندي علم بالموضوع من أول ما بعتتلك الرسالة...

نزلت ولم تردَّ باب السيارة خلفها حتى.. ما عادَت هي الأخرى بها أعصابٌ تحتمل... سارت وقلبها يتفجر ألماً.. لم تستطع حبس دموعها.. فمن ينجد قلب الأنثى من الهلاك غير الدموع.. بكت كثيراً .. و بينما تحاول أن تقطع الشارع.. تلتفتُ يُمنةً لتراهُ ما زال واقفاً ينظر إليها من بعيد.. نَظرت إليه بعينين اختنقتا دمعاً و سارت.. ظل حولها كما كانَ دوماً ملاكَها الحارِس.. بقي يسير في الشارع التي تسير فيه إلى أن وصلت المنزل.. كفكفت دموعها.. التَقطت هاتفها و كتبت لَه "هذا فِراقٌ بيني و بينك" ..

*****

كُوني لَهُ أنثى و تمردي..

فَعيبٌ على أنثى ألا تتمردا~

كانَ يعودُ دوماً ..هو أيضاً كان يعشقها ... كانت تقسو عليه.. ومن أين كانت تأتي بهذه القسوة هي نفسها لا تعرف ..لو رآها الآن بما هي عليه... لم يكن ليرجوها يوماً.. كان سيعلم أن خلف قسوتها حباً حدّ الوجع ..

آلمها كثيراً... لدرجة أنها لم تعد تطيقه .. حزمت الأمر أنها لن تعود لهُ.. لقد آذاها فعلاً هذه المرَّة لم يمض على كل هذا أسبوعان... هاتَفها .. لم تّرُدّ... عاود الاتصال بها مرتين.. تبرر لنفسها .. "ربما يريد شيئاً ضرورياً منها".. مع أنها على ثِقةٍ تامةٍ أنه لم يكن يحتاج منها إلا حبها و اهتمامها به و إخلاصها له... هي أحبته رغم كل شيء.. كان هذا مبرراً كافياً أمام الجميع ... أجابت:

– ألو

– مرحباً

– أهلا

– كيف حالك ؟

–بخير

صَمتَ و كأنه يريدها أن تسأله عن حاله .. صوته بدا مختنقاً... كلامٌ كثيرٌ في فمه لها ..

– كيفَ حالكَ أنت؟

–لستُ بخير

لم تستطع أن تبلع ريقها من الغصَّة التي أمسكت حلقها .. لم تحتج تلك الكلمة لتعلَمَ أنَّهُ ليسَ بخير ..هو لم

يبدُ منذ اللحظة الأولى بخير ... سَتتلفُ رونَق قسوتها إن سألتهُ ما بك.. لكنها ستموتُ ألماً إن لم تعلم ما بهِ صغيرها... الذي عادَ إلى حضنها حين تألّم... بلا مبالاةٍ مصطنعةٍ سألتهُ

– ما بك ؟

– لقد تقدمتُ لخطبةِ فتاة مرغماً لم أعلم كيف حدثَ الأمر بسرعة و قد قرأ أهلي الفاتحة

صاعِقةٌ فلقت جسدها نصفين.. دموعٌ انهمرت منها رغماً عنها.. كأنبوب ماءٍ انفجر ... بدأت تنسال على وجهها ... حتى أن قبَّة كنزتها امتلأت بالدموع... تنحنحت .. ثم

– مبارك

–مبارك ؟؟ حقاً؟

– ما الذي تريده مني الآن ؟ من الوقاحة جداً أن تكون لامرأةٍ و تهاتف غيرها!

– لكنني لا أريدها

"تضحك ساخرة "

– آه نعم رجلٌ يزوجونه أهله رغماً عنه .. لقد انقرضت هذه العادة .. حتى لم تعد الفتيات يتزوجن بهذه الطريقة!!

– أيمكنك أن تسمعيني حتى النهاية ؟

بنبرة ناهرة .. و الدموع لا تزال تنهمر من عينيها دون أي صوت ..

– تَفضّل!

بدأ يَسرد لها قصة ما حَدَث... ابنةُ خالتِهِ ..والدتها هاتفت والدته ... تُريدُ زوجاً لابنتها .. عادَةُ النساء التقليدية.. تحدث النساء ممن تعرف كي يدللن على ابنتها..

- سَمعت القصة من أمه فيما بعدْ-

رَكب السيارةَ مُرغماً.. والدهُ إلى جوارِه .. والدتهُ في الكرسيِّ الخلفي... ردد هذه العبارة كثيراً "أنا لن أتزوج بها"

-طب انت بس شوفها "ردت والدته"

- أنا لن أتزوج بها !!

وصلوا منزلَ خالته ... انتَهوا من تلك الزيارة التقليدية .. لا كعائلةٍ .. إنما "كخطَّابين"...هي لم تسأل عن التفاصيل.. لذلك في مخيلتها هي فعلاً لم تكن تعلم ما حدث...

كانت تتخيل نفسها في ذلك الموقف لا أخرى غيرها... لطالما تخيلا هذه اللحظات معاً ... لطالما ضحكا من حماقات يتخيلانها ...

–كيف رأيت الفتاة "سألت أمه "

– عادية ، لا يهم كيف رأيتها أنا "أصلاً" لن أتزوج بها

تتنهد أمهُ منهكةً و تتركهُ وحدهُ ذلك النهار...

لم يمضِ يومان على الزيارة السابقة.. كان قد أصيبَ بلفحة هواء اضطر على أثرها ألا يذهبَ مع والديه في هذه الزيارة... دخلت أمه الغرفة

– أرجوك يا بني .. صار عمرك ستة و عشرين .. و أنت ابني البكر ... بدي أفرح فيك .. بنت خالتك ربيتها على ايدي ...

دَمعةٌ سالت من عينيها أضعفته ..

- افعلي ما ترينهُ مناسباً

و ردَّ اللحاف على وجهه ..

هاتفتهُ والدتُهُ في طريق العودة إلى المنزل لتخبره أنهم قد قرئوا الفاتحة... لكن الفتاة هذه المرة لم تخرج لأنه ليس موجوداً رغم وجود خالتها و زوج خالتها!!

كان استياء والدته من موقفها واضحاً إلا أن عادة والدته أن تختلق الأعذار للجميع .. رائِعةٌ كانت والدته .. طيبة حنونة .. "رائعة" ...

لم تخرج الفتاة ... لم يعجبها غيابه .. أصرت عليه والدته أن يخرج في اليوم التالي لزيارة خالته و "ابنتها" ...

وصلوا هناك.. ترحيب معتاد ... جلَست ممتعضةً على مقربةٍ منهُ ... مسافَةٌ لا بأس بها تفصلهما...

- لم لَم تأت البارحة

- لقد كنتُ مريضاً أعتقد أن والدتي أخبرتكم بهذا

لم يعجبها رده.. وما زالت غاضبة ...

- ما هذا في رقبتك ؟ أنا لا أطيق الشاب الذي يضع سنسالاً

خلع السنسال و مده لها .. "خبئيه لي " ... ذلك السنسال الذي عزم ألا يعطيه لأحد سوى زوجته ...نعم زوجته ... خضع لأمرٍ واقعٍ ... يومان فقط و لم يستطع أن يتحمّل ...

- نعم ... هذا الأمر كله حدث خلال هذا الأسبوع و لم أستطع أن أتحمل أكثر من ذلك ... بدأت أرى فتاةً لا يهمها

إلا كم أجني و كيف سأشتري لها شقة فاخرة .. بدأت أقارنها بفتاةٍ كانت على استعداد أن تعيش معي على حصير و تأكل معي باقي الخبز إن لم نجد ما نقتات... بدأت أرى فتاة تهتم بالمادة و أخرى همها الوحيد كيف سأجمع لها ثمن ثوب الزفاف... أرى فتاة لم يهمها أبداً ماذا أفعل و أين أنا.. تستيقظ بعد الظهيرة و حين تحدثني تكون كمن يقتنص الفرصة كي تغلق الهاتف ... و أخرى كانت تستيقظ لتوقظني .. تغتنم كل ثانية لتسمع صوتي...

قاطعته – حسناً ما المطلوب مني الآن

– خلال يومين سأفسخ الخطبة ؟

– حسناً؟!

- و إن لم تعودي لي الآن فلا بأس متى رأيتِ أنك جاهزة للزواج و يمكن والديك أن يقبلا ذلك هاتفيني سأنتظركِ

"ضاحكةً بحرقة" – حقاً؟! لا يا سيدي لو لم يتبق على وجه الكرة الأرضية رجلٌ غيركَ لن أفكر فيك

- لكنني لا أريد إلا فتاة فيها كل صفاتك ...فيها أنت..

- آمل أن تجدها

- أريدك أنت

- هذا لن يحدث أبداً

- لكن

"صارخةً" – من دون لكن!! وجدت واحدةً يمكن أن تجد ألفاً مثلي و أفضل مني فأنا بصدق أتمنى لك التوفيق بذلك

و أغلقت الهاتف في وجهه..

لا .. لم تنتهِ القصة هنا ... صارعت ذلك اليوم دموعها كثيراً... هاتفت صديقتها ...

- لقد خطب

- و ما همك أنتِ إن تزوج ألفاً ما فعله بك لم يكن قليلاً و لو كان يريدك أنت لعاد إليك منذ البداية و لم يذهب لأخرى.. أعلم أنك ستكونين في قمة تحطمك... هذا فقط لأن العشرة لن تهون عليك.. و لأنك أحببته بصدق ... لكن بما أنه قد رأى حياته دونك فعليك أيضاً أن تفعلي المثل...

لَمْ تَكُن لِكلماتٍ بمثل تلك القَسوة أن تجعَلَ قَلبها يَقسو عليه يوماً ... لَم تَشعُرْ بنَقصٍ في نكهةِ الحُب التي تتذوقها في مرور اسمه على شفتيها ... طيفُهُ.. صَوتُهُ .. عبق

قَميصِهِ المُغبَر بعد العمل ... رائحَةُ عَرقهِ المُنساب على جبينه التي كانت تتنشقهُ مِلءَ قَلبِها ... كَنزَتُهُ الحَمراء التي لطالما أحبت .. كَيف تُباغِتُ يده وجهها حِين تَهُمُّ بالرحيل و يُديرهُ إليه لِيهمس لها "ديري بالك على حالك .. مشاني"

كَانَ يُدرِكُ تماما ... لَو أحِلَّ لها لَعبدته... و الطُرقُ شاهِدةٌ ... و أضواء الشارِعِ شاهدةٌ .. عصافير الحي .. أطفال الحي ... الأزقَّةُ ذات المواعيد المَسروقة .. للقاء الأيدي .. لِشوق العينين... لعُلَب الهدايا الأنيقة ... كُلُّ ذلك بات بالنِسبة لها فِلْمٌ يُعادُ عَرضُهُ اليوم بغياب الممثلين ... و تَظَلُّ الذكرياتُ سَراديبْ لَن يَفهمها أحد... لن يَدخُلها أحد... سِوا طيفهِ .. و قلباً متعرقاً بالحنين ... يتضور اشتياقاً.. تَبكي أمام الصورِ فيها... هنا هو بذات الكنزة الحمراء و القبعة الكحلية ...صورة له هناك في لقائهما الأول بالسترة

الجلدية السوداء .. ياه كم كان جميلاً يومها .. حين أول لقاء ... رآها من بعيد ... عيناهما تتلاقيان.. فتَحني عينها خجلاً.. و يسَمِّر عيناه يملؤهما بها ... بها هي فقط ... فلطالما ملأت عينيه .. ما هَمس بكلمة "أحبك" بعدها لأنثى غيرها... هناك صُورةٌ لَه بالسترةِ الخضراء و القُبَّعةِ الشتوية... تراها فَتبتَسم .. تّذكُرُ يوم بَعثت لَهُ رسالةَ اعتراف بالعجْز أمامه بَعدْ أن مضَتْ أربع أيام دون أن يُحادثها ...

" أقتربُ منك فتبتَعد .. أعُدُّ خطواتي ابتعاداً فتقترب .. أحبك فتكرهني أكرهك فتَجُنْ ... أسقطتني أرضاً أجثو على رُكبَتيَّ فما عُدْتُ أحتمل "...

****

عادَتُهُ لَمْ يُجِبْ يَومها ... الصَمتُ مبتسِماً ... ثَوبُهُ الذي أخاطه لِنفسِهِ بِنفسه .. رَجْلٌ مِن غُموض .. غَيرُ مُتوقع ردات الفِعل ... يُفاجئُها بِردودهِ دوماً فَيعطي لها سَبباً مُقنِعاً لارتداء الصَمتِ أيضاً...

لَمْ تَنْتَظِرهُ لِيُجب .. ما من كلماتٍ يجيب بها على عنوان كِتابٍ فحواه الفراق!! ..

هَاتَفها في اليوم الثاني صَباحاً ... لَمْ تُجبْ .. لَكنه كما نَدرَ يُصرٌّ فيعيد الاتصال .. أجابت :

- ألو

- وينك ؟

"صَمتت قليلاً فللسؤال تتمة .. ثُم أجابت"

- في الجامعة ، لماذا ؟

- لاقيني عند باب الجامعة الرئيسي أنا أنتظرك هناك

تَرفَعُ حاجباها و تَفتَحُ عينيها دهشَةً

- ماذا ؟!

- الجَوُّ باردٌ جداً ستجعلينني أنتظر وحدي طويلا؟

لَم تُكمل خمسَ دقائق إلا وقد اقتربت من الباب.. خطواتها واسعةٌ لِتختصر الزمن ... كخطواتِهِ تماماً... آخر ما تَوقعَتهُ أن تراه أمامها فجأة داخِلَ الجامعة.. ناداها باسمها.. شهَقت لم تَكن قد رَكزت كل حواسِها إلا عند ذلك الباب كي تَصِل إليه ..

– خوفتني

"يضحك" – ما ميزتك و انتي ماشية و داقة راسك بالارض

"تَبتسمُ باستهزاء"

– اجيت مواصلات على فكرة

– وين سيارتك

– بعتها مبارح

"احترق رأسها فهي كالعادة آخر من يعلم "

يَعْشَقُ أن يُغيظها... يَحمَّر وجهها .. تقدحُ عيناها... و تشَدُّ على أسنانها لدرجة أنه إن وضع قطعة خَشبٍ بينها لَكُسِرتْ.. يتأملها و يضحك في سره...

- هيا

مشى خطوتينِ إلى الداخل و أومأ لها برأسه فسارت إلى جانبه ...

بدأ يُحادثُها بمواضيع غريبة .. بَعد أن مضت أربع أيام دون أي كلمة تتأرجحُ بينَهما ... كُليات الجامعة .. دوامُها اليوم .. مِعطفها الأسود ... لماذا لَم تأَخُذ رأيه بعدد الساعات التي سجلتها الفصل القادم .. فلحمر وجهها و بذاتِ عبارات الاغتياظ :

- هو انت فاضيلي الك أربع أيام مش راضي تحكي معي و لا راضي ترد علي يعني عأساس انو كلي ع بعضي فارقة معك ليفرق معك دوامي؟!

يُسكتها دوماً .. بِطريقةٍ أو بأُخرى... و تَضعُفُ هي أمامه... تَراهُ يَنظُرُ إليها مُبتَسِماً.. فتَبلَعُ باقي الكلام .. و تدير وجهها ..

- اشبكيني

- نَعم ؟!

- اشبكيني يعني حطي ايدك بايدي هيك

و أشار لها بأن تَضع يَدها في ذراعِه التي تَقوسَتْ انحناءً لاستقبال ذراعِها...

- عادي يعني قدام العالم بالجامعة ؟

– خجلانة مني؟!

تَرُدُّ عليهِ تَشبُثاً بيده كأنَهُ سَيَهرُبُ إن أفلتته... يومها أمَطَرتْ.. تَذكُرُه جيداً ذلكَ اليَوم... تّذكُرُ المَقهى الذي جلسا فيه.. تفاصيل حديثهما.. تَفاصيلهُ حين يتَكلَّم.. كيف خَجل جداً حين قالت له:

" لن تَخسرَ شيئاً من كرامتك إن قُلتَ أنك اشتقْتَ لي ... "

حين ضحِكَ على كَلماتها ... جَلسةُ الصرَاحة تلك بينهما .. حين أحضر لها القهوة مُرَّة لم تستطع شُربها .. و لَم تَقُل له أنها تُحبها بعشر أرطال سكر كي لا تُسرق دقيقتين من نظراتها إليه حين يذهب ليحضر لها كوباً جديداً... شرِبتها مُرّةَ لأول مرة .. كي لا يُعاتِبها الوقتُ لاحِقاً... كَيف اعترَف لها يومها بصراحة نادرة .. و قال جملة عَلقت ببالها " لو أنني لا أحبك لما جئتُك فور أن أحسستُ أنكْ

سَترحلين".. استدعتها تلك الجُملة لأن تغيب لحْظاتٍ في عينيه ترشُف حُبه من جديد.. و ابتسمَت حيثُ صَدَّقَ هو تِلك الكذبة الفاشلة.. "رحيلها..." لم تَستطع يوماً .. مُرغمةً أو بخاطرِها.. أن تبتعد ... كانتْ دوماً تَعودُ مُهمشة الجناح ليُطبب لها جَفاف قَلبها دون أن يرويه هو... بأي شيء... بالصمتِ ربما .. أو بالكلمات ... بالحُب إن أراد .. بالوردات ... بالحُلْمِ حيناً.. بالغَضب حيناً ... بالحنية و ربما بالهمسات...

تَعودُ من تِلك السراديب إلى ذكرى أخرى ... بعد أن مضى يومان بالضبط على مكالمته التي ترجاها فيها أن تَعود... و تَصرَفت هي و لأول مَرة بِحزم ... كان هاتفها يرن ... لم تعتد اهتمامه الدقيق بالمواعيد ... بدأت دقات قلبها تتسارع ... ست مرات .. إنها الآن مع تحدٍّ مع

نفسها.. لن أجيب .. تعلم أنها أضعف من أن تسمع صوته
و ترده خائباً دون أن تعود له !

* * * * *

يا ذّا الخُصلاتِ البَيْضاءِ

قَد كَبُرَت صَغيرتُك لو أمعَنتَ النظر

وصلتها منه رسالة .. "أريد منك خمس دقائق لا أكثر"... رنّ مرة أخرى .. عادةُ مبرراتها .. "حسناً خمس دقائق لن تعيدني".. أجابت:

– ألو

–مرحباً

–أهلاً

–كيف حالك

–بخير

لا .. هذه المرة لم ينتظر منها أن تسأله كيف حالك أنت أيضاً.. كأنه رجلٌ غير الذي حادثها في المرة السابقة... كان صوته فرحاً جداً.. و هي بطبيعة الحال ابتسمت لصوته...

- لقد فسخت خطوبتي

- من المفروض أن أقول مبارك ؟ تبدو سعيداً...

- اسمعي أعرف أنني أسوأ مخلوق على وجه الكرة الأرضية لكنني عرفت الآن أنني لا استطيع أن أكمل حياتي إلا معك ولا أريدها أن تكون إلا معك !

- أتظن أنني من الممكن أن أعود ؟؟ لقد ارتبطت بفتاة أخرى و قد سهل عليك ذلك

- لكنني تركتها .. تركتها لأجلك

"تضحك ساخرة" – لأجلي؟ ليس لأجل أنها كانت مقيتة؟! ما تريده ليس عندي فأرجوك لا تضيع وقتي و وقتك!

– لن أغلق الهاتف قبل أن تعودي، حتى إن اضطررت أن آتي إلى باب منزلكم و أطلب منك ذلك، مجنون و أفعلها !

– لن تفعل شيئاً لأجلي

–بل سأفعل كُلَّ شيءٍ لأجلك.. أحبك.. جداً..

– احم ، طريقك يا ولدي مسدود مسدود " و تضحك"

– مسدود بحضنك...أعلم أنك تحبينني و لست تعنين شيئاً مما تقولين ..

–بلى أعني كلَّ شيء

– وكيف سأقنعك بأنني أحبك و أريدك، أأنادي لك والدتي كي تقول لك كم أنا مجنون بك و كم أجلس لياليَّ أحادثها عنكِ

لم تكن تجرؤ أن تحادث والدته من قبل...ولا حتى مع أخته رغم أنه قدَّم لها هذا الاقتراح كثيراً... هو خوفٌ أم خجل ما كانت تدري.... حادثت والدته مرةً واحدة تعزيها في والدتها التي توفيت بعد أن كانت مريضة جداً .. أحست أن عليها ولأول مرة أن تؤدي واجباً لأحد ... لم تكن سوى دقيقتين أو ثلاث لا أكثر... المهم أن تُعرفها بنفسها... تعرفها باسمها ..

– نعم أعطيني إياها لأقول لها كم أثار جنوني ابنها الكبير العاقل الذي أتعبني و أنا معه.. أتعبني رغم أنني أحببته و لم أحاول يوماً أن أؤذيه.. عن ابنها الذي لطالما كنت

أصالحه عندما يغضبني ... الذي تجاهل مشاعري و كل شيء بيننا !

"قاطعها" – أحبك ...

صمتت .. من النادر جداً لرجلٍ مثله .. يرى أن من العيب على الرجل أن يظهر مشاعره لأنثى ... حتى لو عشقها حتى الجنون.. أن يقول أحبك .. و مرتين في نفس المكالمة !... حسناً هذه معجزة..

"أكمَل" – أترتاحين إن تحدثتِ إليها

"غير متوقعة أنه سيجعلها تحادث والدته" – نعم !

–انتظري

و ذهب ليناول السماعة لوالدته .. صمتت هي .. و الدهشة تعتري وجهها.. أحقاً سيفعل ؟؟!! ماذا سأقول لها... كيف سأتحدث معها!

– ألو السلام عليكم

– احم و عليكم السلام أهلا خالة كيفك حبيبتي ؟

– بخير الحمدلله نشكر الله انتي كيفك و كيف ماما

– الحمدلله بخير الله يخليلنا ياكي

"تشجّعت " – خالة أنا زعلانة منك

"ضاحكة" – ليش يا حبيبتي شو في

– يا خالة ما انتي عارفة انو أنا بدي ياه رحتي شفتيلو عروس و هو لأنو كنا زعلانين من بعض شوي ما صدق...

"تكمل ضحكتها" – والله يا حبيبتي هو مش ما صدق هو والله ما بدو...

ثم تابعت سرد الأحداث ذاتها التي قالها لها لكن بتفصيل أكثر .. استمعت هي لأدق تفصيل في الحكاية .. كان كابوساً مروعاً انتهى نهايةً لا بأس بها ... " قُل أعوذُ بِرب الفَلَق" ....

– هي خدي هيو معك

– ماشي حبيبتي

تناول الهاتف من والدته ...

– حسناً ماذا الآن ..؟

– لم أشفِ غليلي منك بعد

"ضاحكاً" – ماذا تريدين أن تفعلي بي؟

– لو أنك أمامي كنت خنقتك ثم صفعتك ألف مرة على الخدِّ نفسه!

– أتريدينني أن آتي إليكِ لتفعلي ذلك

تتحني هي أمام كلماته تلك.. فيها شيءٌ من الغزل المُستتر .. تقديره هي في عقله و قلبه مهما رأى من الإناث...

"بخجل" – لا

– أحبك جداً...

و تعود هي للصمت ... لم تعلم أن استسلامها سيكون بهذه السهولة... مهما قاومت الآن فلا جدوى ... فانحناؤها أمام حبها له قد بدا واضحاً جداً...

هي تذكُرُ جيداً تلك الأيام .. يومٌ واحدٌ آخر كان كفيلاً بأن يعيد اهتمامها به و حبها له كما كان و أكثر .. أمسكت هاتفها تقلب فيه.. فإذا بها قد وجدت بضعاً من رسائلها .. في اليوم الذي تلا عودتهما ...

" لم أصدق أنك عدتَ أخيراً أرجوك هذه المرَّة فلتبقَ إلى جانبي ولا ترحل "

لكنه الآن رحل... تاركاً أنثى بقلبٍ مهشم خلفه لن ترضى بالرجال بعده...

*****

مُطَّهرون بلسانٍ عربيٍّ مُبين

لا أنثَى تُشارِكُها

ولا نَظرةٌ لِغيرهِ تُرضيه ...

كانت مشاجرتهما دائماً بسبب غيرتها عليه ..كان يعشقُ غيرتها.. لمْ يكن يدر معنى أن تغار عليه.. كيف كان ينبت الصبار في حلقها .. و كيف كانت تنسى كُلَّ شيء إلا ما ثارتْ لأجله .. أن تتمنى قَتلَهُ لِتبكي عَليه ... أن تَحرِق أعصابَها دفعةً واحدةً فَتغدُو شَجَّرة تتآكل وحدها... تحترق و تحرقهُ... أن تّدفِن حواسها كاملَةُ في صوتها .. في عينيها اللتين تقدحان إن رأت خيال امرأة مَّرت بعينيه صُدفةُ أو عن قَصد ... أن تتمنى لو أنها تستطيعُ قَتْلَ نِساء الكون .. أو

وضعَهُ هُو في صُندُوقٍ لا تَفتَحُهُ إلا لتُعطيه قُوت يومهِ .. قُبلتين صباح مساء .. و ترشُفَ صوتهُ..

كانت تعْشَقُ تفاصيل تفاصيلهِ.. تتأمل صوتَهُ غاضباً حالماً منهكاً، ثائراً، حانياً .. مُطَّهرون بِلسانٍ عربيٍّ مُبين لا أنثَى تُشارِكُها و لا نَظرةٌ لِغيرهِ تُرضيه...

تّغارُ عَليه من نفسها حين يحلُمان معاً .. و يخاطبها و كأنه يَتَحدثُ بصيغَة الغائِب عن زوجته ..التي ستسكن بيته.. الذي يوضبان أحلامَهُما فيه.. في حواشي الغُرَفِ لهما كَلِمتان .. "أحبُك للأبد"... هذا ما احتاجاه في فرق المسافات.. حبٌ يلتَصُق بالأبدية .. في مَنزِلٍ لَم تره.. يبني فيه طوبةً لتقولَ لَهُ أريدها بلون الأرجوان ... شاركتُهما في أحاديثهما عنه أمال كَبيرةُ كانت لا تتسعُ لها الأرض .. كان على السَماء أن تحتضنها أيضاً... تحتضنها وجعاً لا

ينتهي... حَديقَةُ المَنزل التي زرعا فيها نُجوماً تنتظرهما أن يقفا معاً على تلك الأرض .. رُبما لَم تَقوَ الأرض أن تحملهما معاً.. لم تَفعلْ قط... لَم يحدث أن وقفا على البُقعة نفسها دون أن يقف الزمان ... تفاعُلٌ يستعصي على نابِغة أن يفسرَهُ .. يَده بيدها... كَيفَ كانَت تتحسس أصابعَهُ الخَمسُ كُلٌّ على حدا .. كأنها سَتنتقص واحداً بين لَحظةٍ و أخرى! ... تَطبَعُ لَهُ خُطوط يدها على باطِن يَده... يَقْلِبُ يَدها .. و يُقبّل باطِنها .. يرتَشفها بعِشقِ مُدمنٍ ... بينما يرفَعُ بؤبؤَ عينه إلى عينها .. ليُشاهِدها كالمشدوهةِ تَنْظُرُ إليه.. تَكرر الموقف ألف مرّة.. و في كُلِّ مَرةٍ.. هي بالنسبَةِ لها أول مرة .. اغتيال تِلك اليد البيضاء.. يُمكنُها أن تؤلف في عينيه ساعتها ألف قصيدة ... لولا أنها حالما تَلَمحُ عينيه لا بُدَّ من لقاءٍ بين عينيها و الأرض خجلاً و هي مُحمرَّة الوجنتين...

كَتبت له يوماً مُعاتِبةً .. " أنا مُغرمةٌ بِرجل يَعشَقُ كُل نساء الأرض"..في الواقِع .. كانَت تَعشقهُ كل نساء الأرض.. كانَ لَه أن يَفرد و يَنتَقي ... عشقتهُ وحدَها ككل نساء الأرضْ.. كَيفَ تَغلُبُ النِساء جميعاً في الحصول على تلك الرقصة التي ستتوج بها أميرةً قبل أن تدق الساعة الثانية عشرة .. قبل أن يزول السحر عن حُلمها ... و يضحي كابوساً ...

لِم شَعرت بالانجذاب له مذ قابلتهُ لا تدرِ .. و ماذا عساها تَفعل إن كان ورائَها رَجُلٌ يأَخُذُ كُلَّ قَلبٍ غصبا.. لطالما خَرجت من حرب الحُب منتصرة .. تُعرف هي في كُل الساحات .. لَم يُخلَق بَعدُ فارِسُ قَلبها النبيل ..الذي سَيلقي بأسوار قلاعها إلى التَهلُكة .. لم تَظُن أنها مُنذُ بداية

الحَرب مَعَهُ ستَستَسلم أمام حَضرةِ عينيه... دون أن يُضطر أن يُشهر أقوى أسلِحته...

رغم ذلك لم يكُن بإمكان أي شيء أن يستَدرجها لإظهار ذلك الاستسلام...فَبعضُ الكِبرياءِ بَعد اجتِراع السُم يوهِم الجَميعَ بخطأٍ في الكأس... يعطيها بعض الوقت لِتُنهِكَهُ أكثر.. شَرسةٌ هي لكنَهُ كان يُضاهيها شراسَةً...قاوم أكثر .. كبرياؤه كان أكبر...

كانَت رسالتُها واضحةً جداً ...

"أراهُ هناك زيراً بين البلهاء و الحَسناءْ...

و أذوبُ أنا كَالوردَةِ تَحتْ قَطراتِ المَطر

أترقَّبُهُ يَهمِسُ لِتلك و يقبِّل تلك و يراقِص تلك

كُلهن لديه سواء.. لكنني ... لَستُ بين تلك النساءْ..

فأنا استثنائية .. أحبه لكنني استثنائية ...من بعيد تقتلني غيرتي ...

يقتلني حب تملكي .. تُميتُني رَغبتي ...

في أنْ أُحادِثَهُ .. أعانِقَهُ .. ألمِس يَديه ...

لكن .. فَلتَموتي أنتِ يا رَغبَتي !!!

فمَن ارتمت بين تلك اليدين أصبَحت عادية ...

من أرخت ضفائرها على ذلك الوجه عادية ..

و إنني .. يا رغبتي... لستُ عادية

فأنا ببساطة استثنائية ...

فلتَرْقَب يا قلبي من بعيد ..

فأنا مُغرمةٌ برجلٍ يَعشَقُ كُل نساءِ الأرض "

ضَحِك كَثيراً .. احتَفَظ بها في صندوق الرسائل التي تَخصها.. و اسماها "قصيدتي"... ظل مُبتسماً حتى آخر سطر ... بعد أن ألقاه ذلك السطر مَهزوما أمام حُضور كَلِماتها .. هي أنثى شَرقيةٌ تعيشُ شرقيتها بِحذافيرها... إن كانت تُريدهُ .. ستستدرجُهُ و تَحصُل عليه!

ما كانَتْ تَحتاجُ سوى أن يغفل عن قلبه قليلا ... تُخدِّر عقلَهُ بِكَلمتين.. لترمي شِباكَها و تَصطادَ ما كَانَتْ تُلاحق منذ دَخلَ عَقلها و قلبها ... حاول أن يُقاوِمَ لكنَهُ كانَ يعلَمُ أنَّهُ قدْ عَلِق و انتهى الأمرُ.. ابتعدَ عَنها مرّاتٍ عِدّة لِيتحدى نَفسَهُ ... ليختَبِرَ قوَّتَهُ التِّي تَلاشَتْ... أخذَ الأمرُ منهُ وقتاً طويلاً .. و شعوراً غريباً واحدَاً كَي يُدرِكَ أنَّهُ في مملكتِها المُحرَمةِ التي ما دَخلها رجلٌ إلا وخَرج تاركاً شيئاً هناك .. كان على الأغلَبِ قلباً ...

كانَ يرى في عِباراتِ الحُبِّ إهانَةً " لِطقوسِ الرُّجولةِ"..
فالرَجُل يُحبُّ بِصمتْ... بينَما عَليها هِي أن تُغدِقَهُ بِكُلِ
تراتِيلِ الحُبِّ... فهَو يَرى في صَمتِها اغتيالاً واضِحاً
لأسطورَتِهِ التي تُخطُّ على سُطور.. و هي ترى في صمتِهِ
عطشاً لرواياتٍ تكونُ فيها أنثاهُ وحده .. يتغَزَّلُ فيها بين
السطورِ بكُلِّ تفاصيلها .. حتى بِصوتِها ...!!

لطالمَا اعتادَتْ أن يُفاجِئَها .. كانَت علاقَةُ الحُب
بالنِسبَةِ لَهُ محكوماً عليهَا بالاستِثنائية ...عليها أن تتلونَ
بالمُفاجَآت .. بالجُرأةِ و الغيرَة المَرَضِيَّة و الخروجُ عِن إطار
الاعتياد.. كأن يغتالَ أذنَها صَوتُهُ حينَ يَهمِس.. "أحِبُّ
عينيكِ" ... بينما يكونان في خِضَّم حديثٍ عنيف... يقتَلِعُ
بكلماتِهِ صَوتَها .. يُربِكُها عِشقُهُ المَجنون...عليها أن تتعلمَ
كثيراً منه لِتُتقِنَ الحُب ... أو ما عَليه سوى أن ينقُلَ لها تلك

العَدوى .. كي تستطيع أن تخطوَ الخَطواتِ الصحيحة لرقصَةٍ لا يَعرِفُها سواهُما .. خاصَّةً بِهما فقطْ... كانَ عليها فقط أن تستَنشِقَ أنفاسَهُ أكثَرْ.. أن تتشرَّبَ عينِيهُ أكثَرْ... أن تنامَ فوق وسادَةِ أحلامِها به .. تُعانِقُه بها حُبّا و وجعاً ...

كانَ رَجُلاً ذو حُبٍّ يَشتَهى .. يَحرِمُها صوتَهُ كي تَشتاقَ فَتعُود مُنهكَة الجوارِح.. تَحتاجُ أن تنامَ على صوتِه ... كانَ يعلَمُ كيف يغتالُها الحَنين و متى.. كانَ يعلم ماذا يُعطي و كيفَ يُعطي و متى يَتوقَّف ... متى يسمحُ لها أن تُغدِقهُ بالكَلامِ الجَّميل .. و متى يتَوجها ملكةً للأنوثة لا يقرَبُ وجنتيها أحدٌ سواه...

****

فقال: ولكنني لا أجيد الكتابة يا صاحبي!

فسألت: كذبت علينا إذاً؟

فأجاب: على الحلم أن يرشد الحالمين

كما الوحي /

ثم تنهد: خذ بيدي أيها المستحيل!

وغاب كما تتمنى الأساطير /

لم ينتصرْ ليعيش، ولم ينكسرْ ليموت

فخذْ بيدينا معاً، أيها المستحيل !

محمود درويش

كَانَتْ تَعُدُّ عُمرها بأيامهما معاً .. لَمْ تَكبُر أكثَرَ من عامين.. و لم تَكُنْ تَحتاجُ أكثَر من كَلمةِ فِراقٍ واحدةٍ كي تَعلَم أن عُمُرها انتهى هنا ...

وَهَل عَلينا أنْ نَرشًف الأيامَ إلّا وَجعاً... نحتضنها حنيناً لا ينتَهي... ننتظر ترياقاً إلهياً من السماء... هل علينا ألا نستخِدم الذكرياتِ كثيراً ... نستنشقُها ألماً ... نُعيرُها لِعِرزاَلِنا القَديمِ .. الذي .. إن نسينا نحنُ .. لَن ينسى أيام الابتِسام .. و لن ينسانا!!.. نُرتبها حيثُ شِئنا .. أو

يرتبُها فينا حيثُ يَشاءْ.. لماذَا هِي هكذا .. "الذِّكرَيات" ... تتملَّكُ الذاكِرةَ لِتوجِعنا بعد الغياب... أو في الحُضور.. تترُك لنا إبريق اختِناقٍ يغلي على نارٍ هادِئَةٍ ولا يَبرُد .. نتَجرَّعُهُ ساخِناً في أيامِ الحَنين البارِدَةِ ... ملتحفين بالدُموعِ ولا شيءَ سِوى الدُموع ...

في الرابع و العشرين من ديسمبر .. سَبقتُهُ ليلةٌ صافية .. فلا صوتٌ لهما ارتَفعْ .. و لا شِجارٌ دبَّ بينَهما... ولا تَكسَّر الكلامُ ألماً...يومَها ... لمْ تَفعَل ما تَفعَلُهُ عادةً حالما تستيقِظُ .. تَرتَشِفُ صوتهُ قَبل أي شيء .. تُريدهُ أن يشتاق .. أن يُهاتفها هو.. ساعة مَضت .. إنها العاشرة إلا خمسُ دقائق...أمسَكت الهاتِف كي تتعاطى جُرعتها اليومية بعد أن مَلّت الانتظار .. عادتها هي تَمَلُّ انتظارهُ

دوماً فَتسرِعُ إليه ... فإذا بهاتفها يرن .. ابتسامةُ عريضةٌ..
لَم يخذُلها انتظارها اليوم ... أجابت :

–صَباحُ الخير

–صباح الورد

–لهالدرجة القلوب عند بعض

–ليش

–لسا كنت ماسكة التيليفون بدي ارنلك

–وينك

–بالبيت

–متى طالعة على الجامعة

صوته غريبٌ جداً .. و كأنهُ غارقٌ من رأسهِ لقدميه.. غيرُ مرتاح..خَائِفٌ هو .. رَجفَةٌ في صَوتِهِ لم تَعتَدها ... فيتلاقى حاجباها في المنتصَفِ تساؤلاً و حزناً... ينقلبُ مزاجُها دوماً من نبرةِ صوته ... بصوت أقرب إلى الخذلان أجابت:

–كمان ساعة

–طب بس تطلعي رنيلي

–ماشي

و أغلق الهاتِف .. يا ليتها حَدَّثتهُ أكثَر...احتَفَظَت بالقَليل من صوتِهِ في خزانَتها .. تتَعَطرُ بِه حينَ يغتال بابها الحَنين ليلاً... ساعة مَرت ريثما وضبت نفسها .. وضعتْ الكًحل كما يُحب ..

نزلت و رَكبت الحافلة التي تؤدي بها إلى الجامعة.. هاتفتهُ كثيراً و هي في الطريق .. لَم يُجِبْ ... عادَتُهُ يَنْشَغلُ كَثيراً ... بعثَتْ لَهُ رسالةً بأنها خرجت و "هاتفني حين تستطيع" ... و ما أدراها أنهُ بعد ذلك اليوم لن يستَطيع...

وصَلت الجامعة هاتفتهُ كَثيراً أيضاً .. بعدَ خمس محاولاتٍ باءت بالفشل خرج لها صوتُ لَم يكُن صوتَهُ .. يقول لها أنه مَشغول.. لم تُناقش كَثيراً و أغلَقَت الهاتِف .. غضِبت للحظةٍ كَيف يدعُ رَجُلاً يَردُّ عليها !! مُنذُ مَتى يَجعل أحداً يَرُدُّ عليها حينَ يَنشَغِل ..ألهذهِ الدرجة لا يُريد أن يسمع صوتها!!

حسناً .. فعلياً مُنذ متى ..؟! تَجفُلُ مكانها للحظة .. تَعودُ لتتصل.. نَفس الصوت..

-أريد أن أحادِثَهُ الآن من فَضلك .. الأمرُ مُهم

-لا حقاً هو مشغول جداً و لا يستطيع أن يجيب

-أهو بخير

- نعم

-أهو حقاً بخير

-توكلي على الله .. انتي اختو ؟

-شو بدك أنا مين !! بس يخلص و يشوف التيليفون خليه يرنلي !!

لو أنها تَدري كم اختنق صاحُب الصوتِ من جُملَتها " بس يشوف التيليفون " .. و ما أدراكِ أنه سيراهُ الآن أو بعدَ الآن ...!

يختصران الحديث و تُغلِق .. تهاتِفُ صديقتها قبل أن تصل إليها ..

-"هذا ما حدث" ماذا أفعل ...رُبما حَدثَ معهُ شيء..

تغتالها دمعتان دون سبب.. قلبها اختنق فجأة ...تجيبها صديقتها :

"يا بنتي لأ شو بدو يكون صاير ..! أوصلي لعندي و منشوف"...

تَصِل إليها.. تدخلان معاً إلى المحاضرة .. تَنتهي و تخرجان .. تهاتفه.. هاتفه مُغلق ... هناكَ خَطْبُ ما .. لكنها دائماً ما تَخافُ عليه دون سبب .. عادتها قلقةُ جداً و تتملكها الوساوس ... تودِع الفتيات و تخرجِ.. انقَلَب مزاجُها تماماً .. تَستمر في الاتصال به.. هاتفه ما زال مُغلقاً..

يخطُر في بالها أخاه .. هو الوحيد الذي يَستطيع أن يوصلها إلى أي طريقة لتتحدث معه ... و لحسن الحظ كان لديها رقم هاتفه .. تبحثُ عن الرقم و تتصل .. بكل رنة يرن الهاتِف دقاتُ قلبها تتسارعِ.. كأن شيئاً سَيقَتِلعُهُ من صدرها... و تتسارَع على إثرها أنفاسُها ... إلى أن خرَج لها صوتُ أخيه...

- ألو
- مرحبا
- أهلا
- بدي أسألك .. معك رقم أي حدا مع أخوك بالشغل
- لا والله ما معي

أغلقت الهاتف .. اغتاظت فهو لم يسألها لماذا أو لم يهتم إن كان هناك خَطبٌ ما... لَكن لو حَدَثَ أمرُ كانَ لِيعلم و لم يكن بالهدوء الذي كان به .. ماذا تَفعَلُ الآن.. أتُهاتِفُ والدته .. لا.. ستجعلها تقلق و ربما الأمرُ أَبَسَطَ مما تتخيل .. عادت تهاتف أخاه:

-"حدثتُه عما حدث صباحاً " .. أريد أن تدلني على أي طريقة لأطمئن عليه

- وحدي الله شو بتحكي !!

-والله هاد اللي صار .. طمني عليه مشان الله

-طيب استنى

ثم أغلق الخط ... انتظرت قليلا و عادت تهاتفه .. لم يرد أيضاً !!

موقِفٌ لا تُحسَدُ عليه أبداً... كأنها الآن تُحسُ بدوران الكرة الأرضية.. كأن الدنيا كلها تتآمر عليها... كشخصٍ على رأس برج يبعد عن الأرض بسماوات تَنظُر إلى الأسفل و تنتظر أحداً ليدفعها و يلقي بها من أعلى...

ضَجيج و حرب داخل رأسها... تَجلِس على كُرسي على الطريق .. تتنفسُ الصعداء.. ليس لديها حَلّ إلا أن تّذهّب حيث يَعمَل.. منطقةُ نائية هي.. سيوبخها كثيراً لكن لا بأس .. يجب عليها أن تطمئن عليه .... تستقل أقرب حافلة لتذهب إليه .. قلبها ينبض بسرعة ... ألفُ عامٍ مرَّ عليها و هي في الحافلة ...ألفُ نبضَةٍ فاتتها ... اختصَرتها بِنفسٍ واحد لم تَستطع أن تأخذ غيره من دنيا لا تريدها ... تعاود الاتصال بأخيه.. هاتِفهُ مغلَقٌ أيضاً... اغتاظَت

كثيراً!! كان عليه أن يختصر الحديث معي و يخبرني ألا أتصل مجدداً لكن أن يُغلِق هاتِفه !!

لَم تَكُن تَعرِف المَنطقة إلا اسمها .. سألت امرأة تَجلسُ إلى جانبها عنها .. سمِعها سائق الحافلة .. فأشار لها بأنه سيُنزِلها هناك .. وصلت المنطقة ... بحثت بعينيها عن أي شيء يدلها عليه .. لم تَجد .. صَعدت الجِسر .. علها ترى شيئاً أو تلمح شيئاً لا تراه و هي بالأسفل ... تهاتفها صديقتها ..

- ماذا حدث معك ..

- أنا في منطقة عمله لكنني لا أجد أحداً ولا شيئاً

- هاتفي أي شخص

– اتصلت بأخيه و قلت له ما حدث لكنه الآن لا يجيب

– اتصلي بوالدته

– لا .. لا أريد أن اجعلها تقلق و في النهاية يكون الموضوع تافهاً

– عاودت الاتصال على هاتفه ؟

– انتظري لأجرب آخر مرة

ثُمّ:

–ما زال هاتفه مُغلقاً

– حسنا هذا يكفي .. عودي الآن إلى المنزل رُبما فَتَح هاتفهُ في الطريق.. تعلمين أنه سيُوبِّخكِ كثيراً لمَا فعلتِ

– لا بأس المهم أن يرد

– اذهبي إلى المنزل الآن لن تستفيدي شيئاً

– حسناً .. أرجو أن يتصل

– إن شاء الله

تُركي رأسها على شُباك الحافلة منهكة القلب ..خائِبة الرجا .. "يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا "... تَخطُرُ في بالها ألف فكرة .. لا تَدل أي منها على خير .. تُواسي نفسها .. ربما و ربما .. رأسُها سيَنفَجِر .. تَصلُ المنزل ...

تُجرجِرُ خَيبَةً أُخرى .. تُعاودُ الاتصال به .. ما زال هاتفه مًغلقاً ...

تُرسلُ لَه رِسالة ..

" أرجوك كُن بخير .. لَن أقوى على الحياة بعدك.. أعدك بأنني لن أجعلك تَغَضب مني أبداً.. أرجوك كن بخير "

تُناديها والدَتها للغداء .. تَجلِس مَع أهلها حاضراً غائباً... بدأت تدعو في سرها " ربي إني لا أسأُلكَ رَدَّ القضاء و لكن أسأُلكَ اللُطفَ فيه " ... أنهوا الطعام.. دَورها اليوم في تنظيف الصحون.. غلت والدتها قهوة و تركت لها فنجانها .. " تعالي اشربي القهوة قبل ما تبرد " و خرجت والدتُها من المَطبخ ... يرن هاتِفها... تتناولهُ بأمل مقطوعٍ

عله يكون هو.. ليس هو إنه أخوه ... تَجفَل للحظةٍ أُخرى.. أرد أم لا.. يتوقف قلبُها .. تجيب:

-ألو

-وينك ؟

-بالبيت

يصمتُ قليلا:

-عرفتْ شي عنو؟

- لقد .. مات ..

نَعم بتلك البساطة كانت كلماته .. مات .. لكنها على بساطتها كانت الأشد تعقيداً عليها.. كلمة تحتاج عاماً كاملاً لاستيعابها !!

-شو .. شو بتحكي .. بتمزح ؟

- هاي الشغلة ما فيها مزح

-انت فاهم شو بتحكي ؟

-مش قادر احكي .. سلام

أغلق الهاتف تاركها تتخبط في الحائط .. عقلها لا يستوعب أكثر من اسمه.. تاركاً كلمة لا تفهمها ...

تعيد الاتصال بهاتفه فإذا به يرن .. " وقعلي قلبي".. و ما إن يُفتح الخط ، حتى تَصرُخُ باسمه و يجيبها :

-أنا مش هو ...

"الصوت الأجش الذي رد عليها صباحاً يردُّ الآن..."

-طب وينو اعطيني ياه هلأ

-عطاكِ عمرو

-بلا كزب!! اعطيني ياه هلأ بحكيلك

-يا بنت الحلال اقسم بالله انو توفى هيني هلأ طالع من عندو من المستشفى..صارت معو حادثة و هو بالشغل و عطاك عمرو

-ازا ما بدو يحكي معي احكيلي

-الله يرحمو خلص

-ولك شو الله يرحمو شو بتخبص

-والله مات والله اتوفى خلص اتوكلي على الله

تُغلق الهاتف.. ولا تًفكِّر إلا بوالدته.. لو كان الجميع يكذب .. لَن تَكذب هي ... ترن كثيراً .. فتجيب :

-خالة

-انا مش خالتك أنا اخته

-احكيلي شو في

-راح .. مات يا (..) مات..!

-كيف مات والله اني حكيت معو الصبح مستحيل يكون مات!

- "ترد عليها بصوتٍ محترقٍ" والله مات.."و تبكي" كان واقف عند سيارة.. و وراه قلاب فراملو خربانة.. دحل القلاب وصار هو بين السيارة و القلاب.. بس ما صار بجسمو اشي ! والله ما صار فيه اشي! و عيونو حلوين.. حلوين كتير..

" تصرخ بها " – أنا حاكية معك تحكيلي اشي تاني مشان الله احكيلي انو كزب مشان الله!!

تجهشُ أخته بالبكاء ..

–ردي علي .. احكي معي

–أنا بدي اروح ..

تُغلق الهاتف .. شُعورٌ لا تستطيع وصفه .. هي الدنيا دارت بها مرتين و ألقتها من سماء إلى الهاوية .. تجلس أرضاً .. راكية رأسها على الخزانة .. لا دموع نزلت منها ... هي من الأساس لم تُصدق بعد .. على العاشرة صباحا؟ .. و الهاتِف بيده؟؟ .. بعد أن هاتَفها مباشرة! .. عاودت الاتصال على هاتفه فيجيب ، تنادي اسمه بلهفةٍ أُخرى ! فيجيبها :

-يا بنت الحلال انا مش هُو!! والله مااات انتي ما بتآمني بالله اقسم بالله انو مات !!

-لو ما بدو يحكي معي احكيلي عادي بس شو مات ليش هيك بتفاولو عليه

ثم تبكي .. تبكي بِحُرقة .. حرقة الوداع لا الموت...

-لا إله إلا الله و بعدين معك انتِ .. خلص شو بدك تعملي .. روحي اقرأيلو قرآن و اترحمي عليه... البكا هلأ ما رح ينفع

تًغلق الهاتِف معهً .. و تهاتِف صديقتها ..

-نورا بحكولي انو مات .. والله ما مات..

-اهدي اهدي والله مو فاهمة اشي

-ولك شو تفهمي.. انو مات !!!!

-طب روقي شو صار

-ال بحكولي عملولو عمليتين بمستشفى "....." و ما زبطو و مات يا نورا مات

-متأكدة انتي؟

-اخوه كان يبكي يا نورا

-طيب طيب استنيي أنا هلأ برن على المستشفى و بسأل

-مشان الله رديلي خبر بسرعة

-طيب حبيبتي انتي بس روقي

ربع ساعة و عادت لتهاتفها :

-عم برن و حكولي رح يحولوني على الطب الشرعي و ما عم يردو

-طب شو اعمل نورا ......

****

لم تَستَطع يومها أن تفعَل شيئاً ... انتهى نهارها و هي تَبَحثُ عن طريق إليه و لم تَجد ... لن تَجد أبداً .. فقد انتهى الأمر.. و لأول مرة انتهى للأبد...

مّرَّ شَهرُ منذ تلك الحادثة.. شَهرٌ ماتت فيه في اليوم ألف مرّة.. دَعت على نَفسها في كُلِّ صلاة أن يأخذها الرب إليه .. لكن دون جدوى .. السواد الذي اعتلى قلبها و أيامها قبل أن يعتلي ثيابها ...

كُلُّ الوجوه التي رأتها تقود إليه .. الأيام و الأماكن.. شجر البلوط .. و أرصفة الطرقات .. عصافير المدينة ... ضجيج قلبها ... كل المنازل ... كل الطرق ... كل الأصوات ... كل الكلمات .. الأطفال و السيارات .. في كل شيء ترك ذكرى لِيُلاحِقها دوماً ... والدتُهُ التي بَقيتْ تُهاتِفها كُلَّ يوم ... لتبكيا معاً.. تحترقا معاً .. ثم تُغلق

الهاتف تحترق وحدها مع صوره ... تَعودُ للنظر من نافذة غرفتها .. إلى الطريق الذي يؤَدِّي اليه ...

تُلملم أوراقَ ذاكرَتها .. و أشلاءَ قَلبِها الباقيات .. "فالباقيات الصالحاتُ خيرٌ و أبقى "... كان عليها أ ن تلقيها في محرقة العمر كي لا تحترق هي... كان عليها ألا تَعيش معهُ أياماً كثيراتٍ يُسعدنها.. فهي حتماً ستنقلبُ بعد الثانية عشرة منتصف الليل خرافَةً قاسية ... تتسلل إلى سريرها في الليالي الموحشة ... ترافقها من الأزقة العتيقة .. من السماوات .. من الوجع ... من الوجع .. من الوجع!!!

و الآن أغلَقتْ باب حُلمها بِه .. و أعادَت المفاتيح للقدر ... بابٌ لن تُعاود فتحهُ أبداً... بكل ما فيه.. من صوره و صوته .. من ثيابه من كلماته من ضحكاتهما .. المقاعد الشاهدة على حبهما.. كوبا القهوة الباقيان وحدهما

على أرصفة اللاعودة... قطرات المطر التي ستفنى تحتها وحدها ... من "نور" .. نورهما الذي ما زالت تحتفظ بأحذيته و عطره... لم يبقَ لها الآن سوى الذاكرة و الخيبة... اللتان سترافقانها لتتآكل... على هوامش الطرقات... تستجدي الأمل من وجوه المارّة .. تبحث عنه في أي شيء.. و تخسر كل شيء... تصرخ من أعلى قمة للألم.. (ربِّ وصّل له سلامي) ... تناجي الريح... و التراب و الجبال .. فليحمل سلامي من استطاعَ إليه سبيلا... تَكتُبُ لَهُ على أوراقٍ للسماواتِ السَّبعِ تقول له:

" يَا مَن تَسكُنُ السَماء .. حين أعود إليك...فارغة إلا من وحدتي...يداي بغير أمتعة ..وقلبي دونما ورود...وليس لي إلا بضع دمعات لم تجف... احتضني سيدي بين يديك..فإنني.. قد تركت بسماتي مع طفل قد مر يسألني..فلم

أكن أحمل سواها...ضمني إليك بقوة..فالبرد يزداد.. و نسمات الشتاء ما زالت تصفعني...لأستيقظ.. لكنني....لم أستيقظ...!

فاغمرني... ليتني أستطيع –بين يديك– أن أفيق من حزني.. من جرحي وألملم شظايا قلب مكسور فارقته رائحة اعتاد أن يتذوقها كل صباح ومساء فليتني أفتح عيني يوماً ولا أرى سواك"

*****

فَ سلامٌ على الحُلم

يَومَ وُلدَ و يَومَ يَموتُ و يَومَ يُبعثُ حيّا~

انتَهَتْ مِن آخرِ رِسالةٍ لَه .. حاكَتْ لهُ كَنزةً شِتوية جديدة لنهايَةِ ديسمبر البارد .. غَيرَ أنهُ لَن يرتديها أبداً .. ليسَ كُرهاً إنما أمراً .. تَنظُرُ إليها .. و إلى النُقطة التي خَتمت ذلك السَطرَ الوفيّ .. الذي تَحمّلَ مَقتَ كَلماتها و غَصة الماضي .. تَحمّل دموعها التي مَلئتهُ كالفواصِلْ .. تَحمّل رأسها الذي كانَ يَميلُ إليهِ بينما تَكتُب اسم ذلك الغائِبِ و تَنتَحب ..كتابٌ تمزقت اوراقه لكثرة ما كتبت عليه أسرارها و محتها .. ذات السر تنقشه بقلم رصاص لانه تعلم بأنها ستمحوه بعد ذلك .. تَشهَقُ الهواءَ ألماً جالسةً الى ذلك المقعد الخشبي الذي لطالما جَمعهما معاً .. عندهُ كانت

البدايةَ و عنده صارتْ النهاية.. لا يُشاركها تِلكَ الجلسةَ إلا فنجان قهوتها الحلوة بعشرة أرطالِ سُكرٍ علّها تُنسيها مُرّ الحياة بعدهُ .. يتأملان معاً نهاية رواية شرقية .. تتأملها بِوجهٍ مجهد .. تُركي رأسها على ظَهر المقعد رافعةً وجهها إلى السماء.. تقرأ فيها اسمهُ بِنكهةِ الأبدية.. لا صُراخ.. لا أنين و قَلبٌ طُرِحَ أرضاً بغية الهلاكْ .. و لو أعيدَ تَدويرهُ ألفُ مرة ..سيبقى غير صالحٍ للاستخدام البَشريّ !

بِحركةٍ سَريعةٍ سَحبَ فِنجان القهوة ..و صوته الممزوج بنكهة قهوتها تسلل إلى أذنها "أما زلتِ ترتشفين القهوة حُلوة"، تنتفضُ مِن مكانها ناظرةً إليه .. ببذلةٍ أنيقةٍ و ابتِسامَتهِ الفاتِنة.. ربطةٌ عنقهِ التي عكست احمراراً سكنَ عينيها من أثر البُكاء.. تفتحُ عينيها و فاهها مشدوهةً .. تنطِقُ باسمهِ حَرفاً يليهِ حرفٌ كأنها تُسميهِ لأحدٍ يسمعُ الاسم أول مرة..

مُتلعثمة تَرتَعشُ يداها .. يلمِس ذقنها بإصبعين مُشيراً برأسه "نعم إنهُ أنا" .. تنقضُّ عليهِ تَشم ثيابَهُ تَنظر في عينيه الرماديتين بلونِ الحياةْ .. رجفةُ بؤبؤهِ و عيناه الصافيتين .. تتحسس بشرتَهُ الناعمة بيديها الاثنتين و يَهمس.. "لا أريدُ أن أراكِ حَزينةً بَعدَ اليَومْ ، ليس من المفروض أن نشعر بالألم و هناك الكثير لنفعله " .. و قبّل جبينها ..

كأنه .. يمسك بيدها يرفعها لأعلى سماء و يعطيها أفضل الحلول كي تحيا بعده ، بعد أن ذكرت له في رسالتها الأخيرة أنها دونه معادلة تعجز عن حلها أنزلَ يديها و بدأ يتلاشى أمامها .. تناديهِ لكنها لا تَسَمعُ صوتها .. ضجَّ الشارِعْ و تعالتْ أصواتُ زقزقة العصافير.. و النسائِمَ تَشتدً.. تَسحَبُ خُصلاتِ شعرها إلى وجه الذي ما عادت تراه..و ليست تسمع إلا ما تبقى من صوته حين قال لها "عندما نترك أمرنا

لله كل شيء يحدث صغيرتي يكون لصالحنا ، فهو وحده من يعلم الغيب فلندعه يدبر لنا الحاضر ، لا عليكِ سيشفى الجرح ، و أنا معك دائماً ، بالي دوماً معك " ..

استقبلَتهُ باسم دمعات السماء .. و ها هي "ولآخر مرة" تودعه باسم دمعات السماء .. تَزدادً الدموعُ في عينيها حتى اختفى .. واستيقَظتْ على صَوتها تصرخ "أرجوكَ عُدْ "..

تمت

"هَديةٌ للفِكرْ لا للمُفكِّرْ؛ هَكذا بَدأ كَلامَهْ"

هَديةُ الكِتابْ بِ قَلمْ الصديق\"مُحمد خالد سالم"

"إلـهي مالي في الدًنيا مُعين... ضعيفٌ تائهٌ سارَ و جابْ

وَضعفي إليكَ مُشتَعِلٌ بِقلبي...بنارِ أحرقتهُ إليكَ تابْ

حنانُك ربي أسألكَ وَ لُطفاً...و ذِكرُكَ ربي يرفعُني السحابْ"

كلماتٌ نَطَقَ بها قَلبُها...أمَّ نورِ تَرجو الجوابْ

و راحَ الفِكْرُ مني راح بعيداً...و تَسائَلتْ نَفسي أينَ الجوابْ؟

أما استطاعَ القلبُ منكِ صَبراً...أم أنَّ الشوقَ إليه نابْ

هل زادَ صمتُك المريبُ تمنعاً...أم أن فكركِ قد زاد انسيابْ

كِتابٌ رَقيقٌ و روايَةٌ تُحكى ... وواقِعٌ غدا أشبَهَ بالسرابْ

كلماتٌ نَطقَ بها القلمُ ...بينَ أصابِعكِ حنَّ و ذابْ

قد قدمتِ لنا الكَثيرَ ...قصص ، عبرٌ و عِباراتٌ تُهابْ

اختاأعزيزاً سميتُكِ ...نصيحٌ إليكِ قليلَ الكلامْ

افتحي عينيكِ ها هيَ الدُنيا... تحتاجُ لمعصميكِ فافتَحي البابْ



مسكُ الختامْ

للألمْ جاذبيّةٌ خاصة حينَ الغيابْ، نَعرف منه فقط أن قلوبنا ما تزال على قيد الحياة.

أتقبّلُ كل أرائكم عن روايتي الأولى ، ابنتي البِكر "بأي رجل سأرتضي بعدك" عبر بريدي الإلكتروني و صفحتي الشخصية على "فيس بوك".

دمتم بأمل

رؤى قاسم عطاري
roaaattari@yahoo.com
facebook/ru2a3atari.com

جهينة للنشر والتوزيع

العبدلي- عمارة جوهرة القدس - ص.ب 8670 عمان 11121 الأردن
تلفاكس: 4620078 - خلوي: 71 873 965 07

Jawhart El-Quds Building - Al-Abdali - P.O.Box Amman 11121 Jorda
Telefax: 4620078 - Mob.: 07 965 873 71
E-mail: darjuhaina@yahoo.com

